الباب الثانى

تأصيل المدخل الفكري للإسلام
مدخل تاريخي سياسي

أنور الجندى

بيت الحكمة - ص . ب (٥ - ١٣٤١١) شبرا الخيمة / مصر - ت. وفاكس : ٢٢٠٧١٢٤

فهرس الكتاب

الكتاب الثاني

مقدمة

أنور الجندى

بيت الحكمة - ص . ب (٥ - ١٣٤١١) شبرا الخيمة / مصر - ت. وفاكس : ٢٢٠٧١٢٤

جاء الإسلام بعقيدة التوحيد الخالص التي أقام عليها الحق تبارك وتعالى السموات والأرض ، وهى العقيدة التي أنزلت على آدم ونوح والذين من بعـــدهم وإبراهيم والرسل والأنبياء حتى خاتمهم محمد ﷺ .

فالإسلام هو دين البشرية تلقته في رسالات من السماء على رسل من البشر اختارهم الله تبارك وتعالى ليحملوا كلمته إلى العباد .

ولكن البشرية خالفت طريق الله الحق ، وانحرفت إلى عبادة الأوثان وشكلت تراثاً من الفكر البشري الإلحادي الإباحي الذي حمله أصحاب الأهواء ونشروه وأذاعوا به ، وجاءت الرسل من بعدهم تكشف زيفهم وتدحض باطلهم ، لكنهم سرعان ما يعودون إليه .

ولقد ظاهرهم على ذلك بعض أهل الأديان ممن ورثوها من الأنبياء فحرفوها عن طريقها وحولوها عن منهجها الحق ، حتى بلغ ذلك غايته بتحريف التوراة والإنجيل ، وقد دخلت البشرية بذلك في دائرة الظلام الدامس فكان لابد من رسالة عالمية للبشرية كلها تخرج الناس من الظلمات إلى النور وتكشف لأهل الأديان تحريفهم وأخطائهم ومدى الفساد الذي تردوا فيه .

جاء الإسلام ديناً عالمياً للبشرية كلها بعد أن كانت الرسل ترسل إلى أممها خاصة جاء محمد ﷺ للعالمين وبعد أن كانت معجزات الرسل معجزات حسية ، جاءت معجزة محمد ﷺ معجزةخالدة تقوم على البيان المعجز الذي لا سبيل إلى بلوغه ، ولقد تحدى الله تبارك وتعالى منذ خمسة عشر قرناً البشرية كلها بأن تأتي بآية من القرآن فعجزت وما تزال عاجزة ، كذلك فقد أعلن محمد ﷺ أنه خاتم النبيين فلم يظهر نبي بعده .

وجاء القرآن ليضع الحقائق في إطارها الصحيح ، ويقدم للناس قصة الصراع بين الحق والباطل ، ويكشف زيف أهل الكتاب وتحريفهم وانحرافهم ، وتحويلهم رسالات السماء من منظومها الطبيعي حلقة بعد حلقة إلى دعوات عالمية كما ادعى أهل المسيحية ، ومن إنكار اليهود لما جاء بعدهم وإنكار النصارى للإسلام ، كما كشف عن تحريفهم للكتب المقدسة التي أشارت إلى الرسالة الخاتمة وإلى مبعث النبي محمد ﷺ وإعلان سيدنا عيسى – عليه السلام – ذلك في وضوح تام .

ومن هنا كان موقف الإسلام من الأديان السابقة عليه خطيراً وحاسماً ، فإنه ما كاد يتجاوز العقود الأولى حتى زحف زحفاً خطيراً فاستولى على هذه المنطقة الواسعة من حدود الصين إلى جنوب فرنسا في أقل من ثمانين عاماً ودخل الناس في دين الله أفواجاً .

وسيطر بلغته العربية وقرآنه ومنهجه على هذه المنطقة التي عاشت ألف سنة في إطار وثنية اليونان والرومان فكان ذلك أمراً خطيراً أزعج أهل الكتاب الذين بدأوا خطوات المؤامرة الكبرى نحو محاولة سحقه والأدالة منه ، ومن هنا كانت تلك الحملات الصليبية التي حشدت لها أوربا المسيحية كل قواها خلال أكثر من قرنين من الزمان دون توقف في حملات على ثغور مصر والشام وأفريقيا .

وهي حملات سحقها المسلمون وأكرموا قادتها وكانوا رحماء بأهلها على النحو الذي فعله صلاح الدين الأيوبي ، ولكنها في حملتها قد انتهت بالهزيمة حيث ردت هذه القوى إلى أهلها مدحورة ، تبيت الغدر وتحاول أن تكسب من المسلمين عنصر القوة والعلم لتعاود الكرة مرة أخرى ، وفي أعماقها ذلك الحقد الدفين على الإسلام ومن ثم كانت خططها التي دبرتها

عن طريق منظمتي (الاستشراق) بسرقة علوم المسلمين و (التبشير) بإدخال المسلمين في المسيحية أو إخراجهم من الإسلام .

ومنذ ذلك اليوم ومـا تزال شبـاك المؤامـرة ضـد الإسـلام والمسلمين منصوبة ، لا تهدأ ولا تتوقف وكلما كسب المسلمون موقعاً تقدم أعداؤهم بالعمل على سلبه أو هدمه .

ولكن المسلمين يؤمنون بأنهم الأمة التي اختارها الله تبارك وتعالى على عينه وحملها كلمة التوحيد والجهاد في سبيل حماية الدين الحق فهي تستميت في سبيل مرضاته ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾ وهي تعلم أنها يجب أن تكون أهلاً لتكريم الله لها واصطفائه وهي تؤمن بأنها باعت أنفسها وأموالها في سبيل حماية هذا الدين والدفاع عنه والجهاد في سبيله وإقامة المجتمع الرباني الخالص لوجهه تعالى ، لايصرفها عن ذلك صارف مهما تآمر عليها المتآمرون من خصومها ومهما حقروا من أهلها فهي في رباط إلى يوم القيامة قائمة بالحق ثابتة في موقعها ، مرابطة في الثغور ، خير أجناد الأرض ، وقد منحها الله تبارك وتعالى أعظم المواقع والثروات وجعل وضعها قلب العالم وصرة الدنيا وأجزل لها من العطاء ما جعلها به قادرة على مقاومة المؤامرة التي تدبرها قوى الشر والطغيان .

وقد استطاعت بفضل إيمانها وتقينها وثقة في نصر ربها أن تتجاوز عشرات المواقع الفاصلة والمعارك النافدة ، وهي الآن على منعطف خطير ، وفي مواجهة حدث من أضخم الأحداث : أشبه ما يكون بالموقعة الأولى مع الفرس والروم .

وسوف تتجاوز هذا الموقع بالنصر حتماً متى وثقت القلوب المؤمنة

بربها وباعت أنفسها وأموالها ، واختارت إحدى الحسنين .

لقد وجد النفوذ الغربي أن الطريقة الوحيدة لاستدامة نفوذه وسيطرته على الأمة الإسلامية أن يحتوي ثقافتها وفكرها ومناهجها وأن يخرجها عن عقائد الإسلام وأعرافه وطوابعه الخاصة الذي يعطيها تميزها الخاص وذاتيتها الخاصة ليصهرها في بوتقة حضارته وفكره وعقائده بما تحويه من وثنية وإباحية واختلاف عميق في الغايات والأغراض والمطامع .

ولما كان ذلك من المحاولات الخطيرة التي ستظل عاملاً هاماً في الخلاف والتميز فإننا – نحن المسلمين – مطالبون أساساً بالعمل على تأصيل مفاهيمنا وقيمنا وإخراجها من التبعية والتغرب لنردها إلى الأصول والمنابع ، والمعركة مستمرة وممتدة إلى أمد طويل ، بعد أن استطاع النفوذ الأجنبي المسيطر على رأس جسر في قلب الأمة الإسلامية واحتواء مجموعة من أصحاب الأقلام والتوجيه في مجالات الصحافة والثقافة والتعليم والفنون والمسرح وأدوات الترفيه .

إننا مطالبون الآن بأن نحمي أجيالنا الجديدة من هذا الخطر ، بإطلاعهم على الحقائق ، وحتى لا يخدعهم بريق كتابات المستشرقين واتباعهم ، فتثير الشكوك في نفوسهم وتوهن علاقاتهم بدينهم وانتمائهم إليه .

فهذا هو الهدف الذي ركز المستشرقون وأمثالهم عليه بعد أن فشلت الغزوة الصليبية فعمدوا إلى العمل على تحريف الإسلام وإخراجه من أصالته وتزييف الفكر الإسلامي والتشكيك في مقدرات الإسلام وبطولات تاريخه ثم العمل كرة أخرى على بعث التراث الباطني والوثني الزائف وفرض العلوم والفلسفات الغربية بما تحويه من سموم وأضاليل ، أقل ما

فيها أنها تعارض مفهوم التوحيد الخالص الذي جاء الإسلام لإقراره في هذا الكوكب .

وقد انتهزت هذه المؤسسات في الفترة الأخيرة ضعف الأمة الإسلامية (حكاماً ومحكومين) فهجموا عليه بهذه الوسائل المدخولة ؛ ليضعفوا من روح المقاومة المنبثقة من العقيدة الإسلامية ؛ ليسهل عليهم الاستحواذ على البلاد الإسلامية واستعمارها بعد أن يفرغوا النفس المسلمة من عقيدتها وثقافيها - على حد تعبير الدكتور عبد المنعم النمر - وقد تلاقي هذا مع صنيع يشابهه إذ أن نفراً من أبناء البلاد ومن طليعتهم المتعلمة في الغرب أو الشرق قد اعتنقوا بعض أفكار الغرب المسمومة ضد الإسلام وثقافته أو ضد الدين بصفة عامة وأخذوا يروجون لها من خلال مراكزهم التي وصلوا إليها .

وفي أشد أوقات طغيان النفوذ الغربي فإن المسلمين لم يفرطوا أبداً في ذاتيتهم وخصائصهم ، بل حاربوا وقاوموا وجاهدوا النفوذ الأجنبي من تحت لواء الإسلام وبمفهوم الجهاد الإسلامي ولم يستسلموا ، وإن خدعوا فترة من الزمن حين سيطر عليهم بعض المغربين الذين دعوا إلى الأخذ بمناهج الغرب على أنها وسيلة تحرير المسلمين من الضعف والتخلف ، غير أن هذه الدعوة ما لبثت أن سقطت بعد أن تكشف مدى توغل القوى النازية ومحاولتها تدمير الوجود الإسلامي جملة ، وفي ظل أخطر تحد وقع فيه المسلمون (من النكبة إلى النكسة) وفي ظل سقوط القدس الشريف في أيدي اليهود ، تبين للمسلمين أنه لا يوجد إلا طريق واحد هو طريق الإسلام : ذلك النداء الرباني المحرر ﴿ وإن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ .

ومن ثم فإن نقطة التحول : هى أنه تكشف للقوى الإسلامية الواعية أنه ليس لها ثمة طريق إلى استعادة وجودها واسترداد كيانها إلا العودة إلى الإسلام في مفهومه الأصيل .

ومن ثم تشكل قبل مطالع القرن الخامس عشر توجه إيجابي جديد إلى بناء المناهج وتحرير الإرادة وإقامة المشروع الحضاري الإسلامي على قاعدة الإسلام بوصفه منهج حياة ونظام مجتمع . وأسلمه المناهج الاجتماعية والإنسانية وهو توجه وصل غايته اليوم وصل غايته اليوم .

ولقد وضح تماماً للمسلمين في هذه المرحلة حقائق جديدة أهمها :

أولاً : أن الإسلام قادر على أن يبعد بأهله عن التخلف والانحراف ويعيدهم إلى الطريق الصحيح دون أن يكونوا في حاجة إلى عامل خارجي (كما يدعون عن الحملة الفرنسية أو غيرها من العوامل) فقد استطاع المسلمون فهم سبب تخلفهم والعودة إلى منابعهم قبل أن تقدم حملات الغرب بأكثر من أربعين سنة من خلال المصلحين المسلمين .

ثانياً : أن هذا الإسلام غالب على أمره وأنه لن يتراجع أبداً مهما تراجع أهله ومهما تصور خصومه أنهم قادرون على احتواء بعض أهله ليكونوا أعواناً لهم يحملون فكرهم ويغرون به بعض السذج والبسطاء .

ثالثاً : إن الذين ظنوا أنهم قد حققوا خلال هذا القرن من الزمان تحولاً عن الإسلام أو أحسوا أن المسلمين قد قبلوا بمفاهيم الغرب أو سقطوا في بوتقة الحصار والتبعية ، هؤلاء مخدوعون ولهم الحق في دهشتهم اليوم حين يرون المسلمين وقد عادوا إلى منابعهم وعرفوا طريق أصالتهم وداسوا بأقدامهم مؤمرات التغريب التي خدعتهم حيناً .

رابعاً : لقد تأكد المسلمون بعد التجربة مع الغزو الفكري والتغريب - الذي جاء بديلاً عن الغزو العسكري والسياسي - أن هناك فوارق عميقة بين مفهوم الإسلام وبين مفاهيم الغرب بشقيه (الليبرالي والماركسي) وأن التجربتين بعد أن أخذ بهما المسلمون قد ثبت عجزهما عن العطاء .

يقول إدوارد سعيد في الحديث عن دوافع العداء للإسلام في الغرب : مازال الثأر التاريخي من الفتوح الإسلامية يسيطر على أوربا ، فالإسلام يمثل على الدوام إزعاجاً للغرب لأسباب ، فلا يمكن القول عن أي دين أو تجمعات ثقافية أنها تمثل تهديداً للحضارة الغربية بمثل التوكيد الشديد الذين يعتمد الآن عند الحديث عن الإعلام في وسائل الإسلام الغربية ، هناك إجماع على اعتبار الإسلام كبش الفداء لكل ما لا يريد الغرب من أنماط سياسية وإجتماعية واقتصادية جديدة في العالم .

ويقرر إدوارد سعيد : إن العداء الفكري للإسلام في الغرب بدأ منذ نهاية القرن الثامن عشر الميلادي على أقل تقدير وحتى يومنا هذا حيث سيطر على ردود الفعل الغربية الحديثة نحو الإسلام نوع من التفكير المسيطر في جوهره مازال بإمكاننا أن نسميه (الاستشراق) ، إن الأساس العام للفكر الاستشراقي يرتكز إلى جغرافية خرافية وهى ثنائية خطيرة فهى تقسم العالم إلى شطرين غير متساويين أكبرهما : الشطر المتخلف الذي يدعى الشرق والآخر هو الغرب (عالمنا) إنهم ينظرون إلى الشرق وكأنه كتلة واحدة بلا تمايز أو تعدد فيها وإلى العالم الإسلامي بنوع خاص من العداء والخوف . وقد بلغت ذروة التزوير التاريخي لحقيقة الإسلام في القرون الوسطى . وفي القسم الأول من عصر النهضة في أوربا بأن الإسلام (أستغفر الله) دين شيطاني سماته النفاق والتحريف

والغموض ولم يغير من الأمر شيئاً أنهم يعتبرون محمداً (ﷺ) نبيا لا إلها ، وقد استمر الخوف من المحمدية في الغرب حتي بعد أن دخل العالم الإسلامي في أزمته ودخلت أوربا في مرحلة النهضة ، وقد أثار قرب حوار العالم الإسلامي لأوربا المعارك مع أوربا في العصور الوسطى كما أنعش في الذاكرة دوماً قوة الإسلام الكامنة المؤهلة لإزعاج الغرب المرة تلو المرة وقد أمكن إعتبار غيره من الحضارات الأخرى العريقة مثل الهند والصين حضارات مغلوبة على أمرها وبعيدة من هنا لا تشكل مصدراً للقلق الدائم ولكن الإسلام لم يخضع أبداً للغرب خضوعاً كلياً .

وأبرز افتراءات الغرب ضد الإسلام هو التركيز الدائم على أن الإسلام ضد الغرب ، هذا هو الأساس الذي ينبثق منه العدو من التنوعات المؤهلة وبالرغم من وجود بعض الإهتمام والتجارب المباشرة من شعراء وباحثين في أوربا (أمثال جوته وجيرار ذي ترمال وريتشارد بدلان وفلوبير ولوي ماسينون) إلا أن الإسلام لم يلق الترحاب في أوربا .

أما في أمريكا فإن الإسلام لم يحظ بموقع قبل الحرب العالمية الثانية وغلاف مجلة تايم الأمريكية (١٦ ابريل ١٩٧٩) عن الإسلام والعالم الإسلامى في العصر الحديث يكشف عن مدى فهمهم للإسلام حيث زين الغلاف بإحدى لوحات الفنان جيروم يصور مؤذناً ملتحياً يعتلي مئذنه ويدعو المؤمنين بهدوء إلى الصلاة وهى لوحة نموجية تمثل بهاء وزهو ومبالغات الفن الاستشراقي في القرن ١٩ أفضل تمثيل ومع ذلك فإن هذا المنظر الهادئ قد وضع له عنوان لا علاقة له إطلاقاً بذلك هو (إحياء النضال) .

الفصل الأول

القرآن الكريم

أنور الجندي

بيت الحكمة - ص . ب (٥ - ١٣٤١١) شبرا الخيمة / مصر - ت. وفاكس : ٢٢٠٧١٢٤

هذا الكتاب المنزل على قلب النبي محمد ﷺ من لدن رب العالمين ، بوصفه الكتاب الخاتم للرسالة الخاتمة التي جاء بها النبي للعالمين جميعاً والتي تمتد إلى أن يرث الله تبارك وتعالى الأرض ومن عليها فهو خاتم الرسالات أنزل على خاتم المرسلين وكانت معجزات الأنبياء حسية ، لكل أمة نبى ولكل عصر رسول ، فلما أصبحت البشرية مؤهلة لرسالة عالمية خاتمة لكل العصور ولكل الأزمان جاء القرآن معجزة خالدة ، استصفى كل ما فى رسالات السماء من قبل وجاء شاهداً عليها ومهيمناً ، تعهد الله تبارك وتعالى بحفظه وبيانه ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾

ومن هنا فقد أصبح هو النص الوحيد الموثق الذى نزل من السماء ولم يصبه أى تحريف وسيبقى ما بقى الزمان قادراً على العطاء يكشف لكل القلوب والعقول : رسالة الله تبارك وتعالى بدعوة التوحيد الخالص ترسم للإنسان مسئوليته فى الحياة وهدفه وحركته ، يهدى إلى التى هى أقوم ، وقد جاء عاماً ، وقد أحكم الله تبارك وتعالى نظمه ودعوته وعطاءه وشرح رسول الله ﷺ وجهته وأبان عن غايته ومقاصده بالسنة النبوية المطهرة وكان رسول الله ﷺ خُلقه القرآن .

قدم القرآن الكريم للإنسانية منهج الحياة ونظام المجتمع وأبان عن العناصر الثلاث الكبرى فى الدين : العقيدة والشريعة والأخلاق ورسم للإنسان طريقه فى كل مجالات السياسة والاقتصاد والاجتماع والتربية وحدد أمانته ومسئوليته الفردية والتزامه الأخلاقى وإيمانه بالغيب والنبوة والبعث والجزاء وبخالق السموات والأرض صاحب الأمر كله المتصرف فى كل شىء والذى تبدأ منه الأمور كلها وإليه تنتهى .

نزل القرآن الكريم بلسان عربى مبين

يقول الإمام الشافعي فى كتاب (الرسالة) :

لعل من قال إن فى القرآن غير لسان العرب ، ذهب إلى أن القرآن خاص يجهل بعضه بعض العرب ولسان العرب أوسع الألسنة مذهباً وأكثرها ألفاظاً ولا يعلمه ويحيط بجميع علمه إنسان غير نبى ، ولكنه لا يذهب منه شيء عند عامتها حتى لا يكون موجوداً فيها من يعرفه ، فإن قال قائل فقد نجد من العجم من ينطق بالشيء من لسان العرب فذلك يحتمل ما وضعت من تعلمه منهم فإن لم يكن ممن تعلمه منهم فلا يوجد من ينطق إلا بقليل منه ومن نطق بقليل منه فقد تابع العرب ، ولا ننكر إن كان اللفظ قيل تعلماً أو نطق به موضوعاً أن يوافق لسان العجم أو تفقها قليلاً من لسان العرب كما تتفق القليل من ألسنة العجم المتباينة فى أكثر كلامهما على لسانى ديارها

فإن قيل ما الحجة فى أن كتاب الله محضن بلسان العرب لا يخالطه فيه غيره فالحجة فيها كتاب الله :

﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ﴾

﴿ وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين ﴾ .

وقد وردت كلمة قرآناً عربياً خمس مرات

(يوسف – الرعد – الشورى – الزخرف – الزمر)

فأقام الحجة بأنه كتاب عربى فى كل أية ذكرناها ثم اكد ذلك بأن نفى عنه – جل شأنه – كل لسان غير لسان العرب فى آيتين من كتابه :

- ﴿ ولقد تعلم إنهم يقولون إنما يعلمه بشر ﴾ (النحل) .

- ﴿ ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته ﴾ (فصلت) .

فالإمام الشافعي أبرز من نفى عن كتاب الله المعرّب (بمعنى ما استعملته العرب من الالفاظ الموضوعة لمعان فى غير لغتها)

ولقد كان القرآن الكريم هو اكبر أهداف الغزو الفكرى والتغريب للقضاء على لغة القرآن ، اللغة العربية التى احتضنت كلمات الله . والذى أعطاها قداسة واضحة ومنزلة خاصة لم تعرفها جميع لغات الأرض ، وترجع قداسة اللغة العربية إلى أنها لغة القرآن الكريم .

﴿ كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون ﴾

فالقرآن هو دستور الإسلام الأعظم وهو - كما يقول قد حفظ لنا اللغة الفصحى وجعلها تطاول القرون وتتحدى الأزمان ولولا القرآن لاندثرت وانهار بنيانها كما انهارت لغات أخرى كثيرة بسبب عوامل مختلفة أتت على بنيانها من القواعد .

وعندما نرى محاولات إحياء اللهجات العامية ، أو الدعوة إلى لغة وسطى أو محاولة فرض لغة المشافهة على الكتابة ندرك أبعاد هذا التخطيط المدروس لهدم لغة القرآن الكريم .

ولقد عمل النفوذ الأجنبى خلال القرنين الأخيرين إلى الحد من توسع اللغة العربية (لغة القرآن) مع توسع الإسلام وخاصة فى أفريقيا وجنوب شرق آسيا ، حيث فرضت لهجات هذه البلاد كما فرضت اللغات الأجنبية لحجب لغة القرآن (اللغة العربية) وحملها على التراجع .

مع أن اللغة العربية بحكم حملها لأمانة القرآن فهي لغة عالمية لجميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها

ولقد تفتتت اللغات اللاتينية وغيرها ، وتحولت إلى لهجات قريبة الشبه بعضها ببعض ولكنها بعيدة الفهم بالنسبة لأصلها اللغوي المشترك ولكن القرآن الكريم جمع شمل الأمة الإسلامية كلها على لغة واحدة منضبطة الأصول ، متشابهة المقاطع ، متماثلة المخارج ، دقيقة النبرات .

وقد أنزل الله تبارك وتعالى القرآن بلسان العرب وهم أساطين البلاغة وفحول الفصاحة لكي يتقرر به معنى الإعجاز لأنهم عجزوا عن محاكاته أو الإتيان بمثله وقد اعترفت دائرة المعارف البريطانية بأن القرآن أوسع الكتب تلاوة على وجه الأرض ؛ ومن هنا جاء هدف القضاء على القرآن بالقضاء على لغة القرآن حتى يصبح الوصول إلى فحوى الآيات أمراً مستعصياً على الشبيبة المسلمة .

ومن المؤمرات الخطيرة التي تحاول بعض عقليات المتآمرين الدعوة إليها كتابة القرآن بالحروف اللاتينية . وقد عقدت من أجل ذلك ندوات دولية عالمية لمقاومة تحريف القرآن الكريم بكتابته بالحروف اللاتينية أو بغيرها من الحروف الأعجمية .

وارتفعت الأصوات بالتأكيد على حرمة كتابة المصحف بحروف لاتينية وضرورة ردع هذا العبث بكتاب الله الكريم وكشفت الأبحاث التي تقدم بها إعلام البحث عن كيف تلقى الصحابه الكرام هذا القرآن كتابة وقراءة ، حفظاً من الرسول فكان لهم دوي كدوي النحل ، وقد استطاعت اللغة العربية أن تنفذ إلى الآفاق وكان سكان الشام ومصر يتكلمون اللغة الرومية والعراق وخراسان لغتهم فارسية وأهل المغرب البربرية

ولقد كتب القرآن الكريم بين يدي رسول الله ﷺ بأمر منه وبرسم خاص ثم جاء الخليفة أبو بكر ، فعثمان رضي الله عنهما فاستنسخا ماكان على عهد الرسول ﷺ من المصاحف وأقرهما على تلك الصورة أكثر من إثنى عشر ألف صحابي يومها وانتهى إلى التابعين وتابعي التابعين فلم يخالف أحد منهم هذا الرسم القويم الجليل .

ولم ينقل عن أحد أنه فكر في استبداله برسم آخر من الرسوم ولو بنفس الحروف التي كتب بها وهي العربية - كنظرية الإملاء الحديثة - وكان بين صحابه النبي ﷺ عجم من الفرس والروم والحبش وغيرهم من مختلف الألسن وجميعهم قد التزموا هذا المنهج الرباني في حفظ القرآن وتعليمه وتبليغه باللسان العربي المبين .

وقد أكد الباحثون أن كتابة القرآن الكريم بحروف لاتينية هو عمل مرفوض ، وأنه نوع من التحريف يحاولون إلباسه ثوباً أسموه (تيسير قراءة القرآن لغير العرب) وهي خدعة انطلت على البسطاء وبعض قاصري الفكر والنظر من علماء اليوم وكان قد صدر في فرنسا (جزء عم) باكمله بالحروف الفرنسية وفي أندونيسيا ظهرت طبعة للقرآن الكريم بالحروف الأندونيسية يتداولها الناس وبالإنجليزية صدر (قرآن) من هذا القبيل وفي غينيا رجل مسلم له نشاط غريب في هذا الميدان كان يقوم ولايزال بكتابة القرآن بالحروف اللاتينية بعد أن وجد هناك سوقاً رائجة لما يكتب ولاشك أن كتابة القرآن (النص القرآني) بحروف أفرنجية هي بمثابة جريمة العصر ، ومؤامرة كبرى تتمثل في الحيلولة دون مشرب القرآن الصافي .

وهذه المحاولة ليست منفصلة عن سابقها من خطة المؤامرة المدبرة

منذ أكثر من قرنين من الزمان ، حيث كانت محاولة كتابة القرآن بالعامية هي التي فتحت الباب أمام التطوير في خطة متكاملة (الدعوة إلى العامية والكتابة بالحروف اللاتينية وإبطال النحو وقواعد الإعراب وإسقاطها) .

وكان أخطر ماهنالك هو قبول مبدأ التطوير نفسه ، هذا المبدأ المسموم الذي لاينتهي إلى حد معين أو مدى معروف وكانت دعوة [عبد العزيز فهمي] في الأربعينات إلى كتابة العربية بالحروف اللاتينية حيث قدم مشروعاً قوبل بالسخط والإنكار وإن وجد صدى في تركيا وأندونيسيا والصومال .

وكشف الباحثون عن غنى اللغة العربية بالنسبة للغة اللاتينية حيث توجد بها حروف ليست موجودة في اللاتينية (ح - ص - ض - ط - ظ - ع - ق) فهل نلغي هذه الحروف من القرآن الكريم كذلك فإن في اللاتينية حروف متباينة في النطق ، وهب أنه وجدت ضوابط أو بدائل في الحروف اللاتينية فماذا تكون النتيجة : إنها ستكون لمن لم يعرفوا العربية أصواتاً مبهمة لامعاني لها ولامدلول كما نسمع نحن اللغة الصينية أو السريانية أو الإغريقية .

ولقد كان واضحاً أن اللغة العربية حافظت على وجودها بفضل القرآن قال ذلك « المستشرق سيديو » : إن اللغة العربية حافظت على وجودها وصفاتها بفضل القرآن ومن ثم فإن كل المحاولات لإفساد جوهرها هي بمثابة هجوم على الإسلام يتخفى وراء عبارات كاذبة مضللة .

وقد أكد الباحثون أن هناك وجوه إمتناع حقيقية تحول دون كتابة القرآن الكريم بالحروف اللاتينية :

أولاً : عربية القرآن ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له حافظون ﴾ ﴿ إنا جعلناه قرآناً عربياً ﴾ وقد وردت كلمة (عربياً) أحد عشر مرة .

ثانياً : القرآن ليس بذي عوج ، فكيف يكتب بحروف ليس فيها الاستقامة في النطق ولا الكفاءة في الأداء ما للحروف العربية من خصائص قائمة الذات .

ثالثاً : تعلم اللغة العربية فرض على كل مسلم ، لأن العربية لغة الدين ولسان القرآن فإن الفهم التام لايتأتى بدونها وقد أفتى الإمام الشافعي بأن تعلم العربية فرض على كل مسلم عربياً كان أم أعجمياً في كتابه الرسالة فقال :

(على كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب مابلغه جهده حتى يشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأن محمداً عبده ورسوله ويتلو كتاب الله تعالى) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيميه (اللغة العربية من الدين ومعرفتها فرض واجب (اقتضاء الصراط المستقيم) .

ومافتى به الإمام الشاطبي في كتابه الاعتصام والموافقات .

رابعاً : القرآن روح اللغة العربية وأساسها

اعتقد المسلمون على مدى القرون أن لغتهم جزء من حقيقة الإسلام لأنها كانت ترجمات لوحي الله ولغة كتابه ومعجزه رسوله ولساناً لدعوته هذبها النبي ﷺ بحديثه ونشرها الدين بانتشاره وخلدها القرآن بخلوده ، والقرآن لايسمى قرآناً إلا بها والصلاة لاتكون صلاة إلا بها .

وأعظم آثار القرآن على اللغة العربية أنه حفظها من الضياع وكفل لها الحبرة وحرسها عبر الزمان وكفل لها البقاء وخاصة في أزمنة الغزو ، وإبان غلبة اللغة الفارسية والتركية كما حفظ القرآن اللغة العربية من العجمة حين دخلت في الإسلام الأمم والشعوب وحين اختلفت لهجات الأمم ظل الإسلام قادراً على حفظ وحدة اللغة العربية دون أن تتحول إلى لهجات إقليمية وقد أتاح القرآن للغة العربية أن تكون لغة الدين ولغة العلم .

ولعل اللغة العربية هي اللغة السامية الوحيدة التي ظلت على مدى أربعة عشر قرناً بمفاهيمها الأساسية دون أن يطرأ عليها أي تغيير إذ ظلت محتفظة بأسسها من كل تبديل ، ومن هنا فإن مقاصد القرآن الكريم مازالت وستظل باقية على نفس الصورة التى نزل بها الوحي .

ومن هنا فإن علينا أن نعمل على تعريب ألسنة غير الناطقين بالعربية فندعوهم إلى تعلمها وتحلية أحاديثهم بها بدل أن نسعى إلى تعريب تراثنا وتلتين قرآننا (من اللاتينية) وهو الذي لايقبل التغيير ولايخضع إلى حروف شرقية ولا غربية بديلة عن حروف العربية الأصيلة التي حمله الله بها .

﴿ فمن بدله من بعد ماسمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه ﴾

(وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبه من الكتاب وماهو من الكتاب) .

خامساً : تعزيز الإسلام بالإقبال على اللغة العربية

سادساً : تعليم القرآن فرض وقراءته سنّه

سابعاً : حرمه القرآن العظيم

ذلك أن تعظيم المصحف واحترامه وتوقيره وصيانته من كل دنس وقذر حتى حكم الفقهاء بكفر من ألقى به القانورات ، وحرموا كتابته بمادة نجسه وحرمه السفر به وقت الحرب إلى أرض العدو وعلى حرمة اتخاذه كوسادة للنوم أو للاتكاء عليه أو الدخول به في بيت الخلاء .

ثامناً : قاعدة سد الذرائع

قال الإمام المازري (منع مايجوز لئلا يتطرق إلى مالا يجوز) وقال الإمام الشافعي أن سد الذرائع أصل شرعي قطعي متفق عليه في الجملة

ومن هنا فإن كتابة النص القرآني بحروف لاتينية لايجوز شرعاً لأنها تفضي إلى مفسدة عظيمة هي الطعن في القرآن بأكمله وانتقاص ألفاظه واستصغار حروفه وإحتقار نص التنزيل وتشويه جماله والإخلال بقواعد ترتيله وتجويده وإضعاف قوة بيانه وتجريده من صفة الإعجاز أسمى خصائصه العليا .

اللغة العربية والقرآن

ويقرر الباحثون أن الكتابة المضبوطة في اللغة العربية والتاريخ المؤكد الموثوق منه بدأ مع بداية الوحي كما أن القواعد المعروفة في اللغة العربية ماكتبت وسجلت إلا حفظاً لكتاب الله سبحانه من الضياع .

وقد وضعت قواعد النحو العربي لأن بعض الموالي جعلوا يلحنون في القرآن وكذلك الأمر في علم البلاغة ومن ثم فإن (العربية) لم تعد لغة للعرب خاصة وإنما أصبحت لغة المسلمين من حيث أنها اللغة التي تحمل معاني كتاب رب العالمين .

ولاريب أن القرآن هو سر قوة اللغة العربية حيث جعل لها مقياساً ثابتاً يُرجع إليه عبر السنين فقد وصل القرآن الكريم بين أطراف الأمة الإسلامية ونحن اليوم نفهم كلام العرب قبل الإسلام بينما الإنجليز والفرنسيون وغيرهم لايستطيعون أن يفهموا ماكتب قبل أربعمائه سنة إلا بجهد جهيد بعد الرجوع إلى القواميس لحل غموض اللغة التي يسمونها (الكلاسيكية القديمة) بعد أن تغيرت أساليبها وقواعدها والأمر ليس كذلك بالنسبة للغة العربية : لغة القرآن الكريم .

هامش : هناك ٥٠ مترجمة لمعاني القرآن بالإنجليزية أهمها ماطبعه القاديانيون في زيورخ بشرط حذف أكثر من أربعين صفحة من كلامهم المضطرب حول ادعائهم النبوة (جمع هذه المادة الأستاذ على محمد العجلة) .

الفصل الثانى

السّنة النبوية

أنور الجندى

بيت الحكمة - ص . ب (٥ - ١٣٤١١) شبرا الخيمة / مصر - ت . وفاكس : ٢٢٠٧١٢٤

السنة النبوية هي شطر القرآن الكريم الثاني الذي جاء على لسان رسول الله ﷺ حيث قال : إلا إني أوتيت القرآن ومثله معه .

فالسنة هي جماع قوله وتقريره وسننه في ضوء قوله تبارك وتعالى :

﴿ ماآتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا ﴾

﴿ ياأيها الذين آمنوا : آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ﴾

وقد صور ذلك رسول الله ﷺ حين قال : تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبداً : كتاب الله وسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ) .

ومن هنا فقد أثيرت حول السنة مؤمرات كثيرة في محاولات للتشكيك فيها وكان أبرز من ساق هذه الشبهات (جولد زيهر) ، حيث ادعى بأن كتابة السنة جاءت متأخرة .

وقد أثبتت الدراسات العلمية الصحيحة أن كتابة السنة المطهرة بدأت منذ عهد الرسول ﷺ ثم أخذها التابعون وهم تلاميذ الصحابة الكرام وكتبوا كل ماسمعوه من الصحابة في صحفهم وسجلاتهم واستمر الأمر حتى انتهى إلى الأئمة : مالك والبخاري ومسلم وأحمد والنسائي والترمذي رحمهم الله .

ولقد عرض (الدكتور مصطفى السباعي) في كتابه (السنة ومكانتها في التشريع) ما أثير حول السنة وخاصة ماأثير حول الصحابي الجليل أبى هريرة ، والإمام محمد بن مسلم بن شهاب الزهري وهو الإمام

الثبت الحجة الذي دون السنة في عهد أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وكذلك ماوجه (جولد زيهر) من اتهامات للإمام الزهري بالوضع والكذب .

وقد كشف العلامة محمد (ليوبولد فايس) السر في محاربة الغرب المسيحي للسنة المطهرة فقال أسد :

إن الهدف هو إسقاطها حتى يفقد المسلمون الصورة التطبيقية لحياة الرسول ﷺ وبذلك يفقد الإسلام أكبر عناصر قوته .

يقول : لكي يستطيع نقدة الحديث المزيفون أن يبرروا قصورهم فإنهم يحاولون أن يزيلوا اتباع السنة لأنهم إذا فعلوا ذلك كان بإمكانهم حينئذ أن يتناولوا تعاليم القرآن الكريم كما يشاءون على أوجه من التفكير السطحي أي حسب ميول كل واحد منهم وطريقة تفكيره هو وبذلك تنتهي تلك المنزلة (الممتازة) ، على أنه نظام خلقي وعملي ونظام شخصي واجتماعي إلى التهافت والإندثار .

وقد تعالت أصوات مضللة كثيرة في العقود الأخيرة تحاول أن تخضع الحديث النبوي لما يسمونه المنطق أو منطق العقل وكان المعتزلة هم أول من فعل ذلك (إبراهيم بن سيار النظام) وفي العصر الحديث هناك من يرى الاكتفاء بالقرآن وترك السنة كلها والهدف هو إفساح الطريق لإحلال الثقافة الأوربية محل الثقافة الإسلامية وجرت في السنوات الماضية على ألسنة وأقلام بعض المغربين هذه الشبهات (إسماعيل أدهم ، شاخت ، غلام احمد برويز) الخ .

وقد ظلت (السنة المشرفة) مستهدفة من الفكر الاستشراقي في

الشرق والغرب ، بل أن الغزو الصهيوني استهدف السنة بكل مؤسساتها حيث بدأت الحملة على القرآن الكريم فلما وجدوا أن جدارة حصين تحولوا إلى السنة والحملة على السنة أكبر خطراً فهي تهدف إلى أن يبقى الإسلام دين عبادة في خطط ثلاث :

١ - نسف الشريعة الإسلامية واعتماد القوانين الوضعية وحجب مسألة الأحكام .

٢ - التخلص من القيود التي جاء بها الإسلام عن طريق السنة .

٣ - تحكيم الفلسفات والاتجاهات الهدامة وقد ترك المستشرقون المتخصصون في الحملة على السنة وفي مقدمتهم (جولد زيهر) (وشاحت) تراثاً عريضاً من الأكاذيب والأضاليل حيث يعرضون ويتأولون ويهاجمون بلغاتهم فيصدقها من لايعرف العربية من المسلمين أو غيرهم ثم هي بعد ذلك تترجم إلى لغتنا ويتأثر بها الدارسون في الجامعات وفي غيرها وممن تأثر بالاستشراق جماعتان :

الأولى بأقصى المشرق في بلاد الهند (القاديانية) والثانية في بلادنا العربية حيث قال الدكتور توفيق صدقي الطيب في كتاباته بالمنار : القرآن وحده .

وأثار هذه الشبهات أحمد أمين في ضحى الإسلام وفجر الإسلام وإسماعيل أدهم في كتابه (تاريخ السنة) ومحمود (أبو ريه) وأحمد زكي أبو شادي في كتابه (ثورة الإسلام) كما نشرت مجلة العربي (عبد الوارث كبير) ليس كل مافي صحيح البخاري صحيح .

وفي السنوات الأخيرة حاول البعض من مدعى العلم فحص السنة

النبوية في ضوء المنطق الفعلي وحقائق العلم التجريبي ومبادئ الثقافة الأوربية في تجاهل صارخ لمفهوم الغيب والوحي والنبوة .

ومن ذلك قصة سيدنا إبراهيم والطير ، وإلقاء سيدنا موسى للعصا وولادة سيدنا عيسى من غير أب ، وخلق سيدنا عيسى للطير من الطين وهذه محاولة مضللة وفاشلة لأنها تنبئ عن جهل فاضح بأصول أصيلة للبحث حيث يوجد مجالان منفصلان لايمكن خلطهما .

الأول : مجال الوحي السماوي ، والآخر مجال العقل البشري

وحيث لايمكن إخضاع مجال الوحي السماوي والدين بكل مفاهيمه للعقل الحسي والتجريبي على النحو الذي يحاوله (فؤاد زكريا وحسين أحمد أمين) فضلاً عن أن الفكر الفلسفي لايعطي أي سند لهؤلاء حيث يقرر القرآن الكريم قاعدته الأصيلة (الذين يؤمنون بالغيب) فالحقيقة الأولى أن الإسلام يحث العقل على السعي لمعرفة الطبيعة وقوانينها وتسخيرها لخدمة الإنسانية بعد أن أودع الله تبارك في الإنسان القدرة على تحصيل هذه المعرفة .

أما الحقيقة الثانية : فهي أن العقل البشري غير مهيأ لإدراك وجه الصواب في الغيبيات والبعث والحساب والأخلاق والشريعة .

والخطأ الأكبر عند هؤلاء هو محاولة تحديد سلطان العقل وتجارب المعمل إلى ملكوت الله تبارك وتعالى استجابة للنزعة الحسية الأوربية .

حقائق الوحي وحقائق العلم

ولكن هذا لايعني أن يقع تعارض بين نتائج هذه العلوم وبين الإسلام إلا حين يستعلى رجال العلم ويخوضون فيما لايفقهون مثل قولهم إن المادة

لاتفنى ولاتستحدث والقرآن يقول : كل شئ هالك إلا وجهه .

وفي عقائد الإسلام : إن كل شئ عدا الله تبارك وتعالى مخلوق ومستحدث فالمادة والروح وكل شئ في عالم المخلوقات خلق من عدم ولابد أن يهلك .

وإن قيادة العالم والحكم هي للوحي الإلهي وليس للعلم التجريبي . إن الماديون يحاولون أن يجعلوا الهيمنة للعلم فكل مايأتي به العلم من حقائق معملية ونظريات علمية صواب وحق وكل مايتعارض معها خطأ وباطل . وهذا القول يغفل جانباً كبيراً هو الجانب غير المادي (المعنوي والروحي والغيبي) فضلاً عن أن علماء المناهج قد اتفقوا على أن معارف الإنسان العلمية نسبية راجحة الصواب ، وإن كانت الحقائق نفسها ثابتة مطلقة لاتتغير أما حقائق العلم فهي نسبية ومايقرره العلم اليوم ينقضه غداً أما حقائق الوحي فهي ثابتة لا تتغير فكيف يخضع الثابت المطلق للمتغير النسبي .

والذى تقرر عند علماء المسلمين منذ وقت بعيد هو ماتبعه الإمام ابن تيمية في كتابه (درء معارض العقل والنقل) وهو الذي اتخذه الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا : إن الوحي هو الحكم وهو المعيار وهو المرجع (أحمد عبد الرحمن) .

ولما كانت السنة هي معيار الفكر الإسلامي فقد كان الحكم على كل القضايا التي عرفها هذا الفكر سواء أكانت سياسية أم اجتماعية ، وكان الحكم على كل الفرق والدعوات فما اتفق مع مفهوم السنة وأهل الجماعة كان مقبولاً وماخالفها وجب تنحيته ، وهذا ماوصل إليه الفكر الإسلامي بعد ترجمة الفلسفات وظهور الفرق والمذاهب المختلفة .

فكانت السنة هي البوتقة الناصعة التي انصهرت فيها كل الخرافات والنحل والدعوات التي طرحت في فلك الفكر الإسلامي فاستصفتها السنة وحررتها من شبهاتها وأخذت عصارتها الطيبة فضمتها إلى كيانها ونفت ماسواها . وبهذا كانت السنة هي النهر الكبير وكانت تلك الموجات والمذاهب روافد وقد التقت السنة بمفاهيم الكلام والاعتزال والمنطق والفلسفة والتصوف والتشيع وصهرت خير ما في ذلك كله في مضمونها الجامع الأصيل الذي يستمد حقيقته ووجوده من الفهم النبوي للقرآن الكريم .

الفصل الثالث

الإسلام اليوم

أنور الجندى

بيت الحكمة - ص . ب (٥ - ١٣٤١١) شبرا الخيمة / مصر - ت. وفاكس : ٢٢٠٧١٢٤

في خلال العقد الأول من القرن الخامس عشر الهجري ، كيف يظهر الإسلام وهو يرتقي كالبدر في أفق السماء ليصل إلى الأفق الأعلى وقد مد جناحيه من أرخبيل الملايو إلى رباط الفتح وطنجة البيضاء وقد أوغل اليوم في أوربا حيث يوجد خمسة عشر مليونا من المسلمين ؟

وفي تقرير نشر أخيراً أن عدد المسلمين بلغ اليوم ألف مليون نسمة وسبعة ملايين بينما بلغ عدد سكان العالم خمسة مليارات نسمة .

وكان عدد سكان العالم في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي ألف مليون نسمة وقد تضاعف هذا العدد خلال قرن واحد تقريباً والمتوقع أن يصل عدد سكان العالم إلى ثمانية مليارات نسمة عام ٢٠٢٢ ميلادية (الموافق ١٤٤٤ هجرية) .

هذا ويعيش ثلاثة أرباع سكان العالم اليوم في الدول النامية والفقيرة حيث يتحقق ٩٠ في المائة من النمو السكاني العالمي في تلك الدول .

وتتحدث مجلة ديلي تلغراف الأسبوعية اللندنية عن أن تعداد المسلمين في الوقت الحاضر (١٩٨٩ - ١٤١٠) بلغ حوالي مليار مسلم ونسبة الزيادة السنوية تبلغ ٥٠ مليون مسلم مما يرشح الإسلام ليصبح القوة المؤثرة في الأحداث خلال السنين القليلة القادمة بمشيئة الله .

وقال (جاك بيرك) : إن الدين الإسلامي سوف يصبح دين المستقبل في العالم وأن الزعم بتعارضه مع العلم غير صحيح ، لأن الإسلام استطاع استيعاب الحضارات السابقة عليه وصنع حضارته

الخاصة . وفرق بين الآلات التكنولوجية والحضارة فهذه الآلات تعتبر ثورة تكنولوجية وليست حضارة وقال : إن المسلمين مؤهلون لأن يكونوا أصحاب حضارة لأنهم يملكون تراثاً عريقاً .

وقال (ريتشارد ميرفي) مساعد وزير الخارجية الأمريكي : إن خوف الأمريكيين من النهضة الإسلامية التي تشهدها دول العالم الإسلامي هى أمر في غير محله ، وربما كان كره الأمريكيين لفكرة الدولة الدينية هو الذي يشوه فهمهم لمطالب المسلمين في إقامة نظم إسلامية في بلادهم وهو ما يدفعهم إلى النظر إلى الحركات الأصولية الإسلامية على أنها حركات متطرفة .

* * *

وقال إوجين رستو (مسئول التخطيط في الغرب)

يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول وشعوب بل هى خلاف بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية ، لقد كان الصراع محتدماً بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى وهو مستمر حتى هذه اللحظة بصور مختلفة .

ولكن هؤلاء جميعاً يعلمون أن المسلمين لم يخضعوا يوماً واحداً لسيطرة الغرب أو الفكر الغربي أو يستسلموا إزاء هذه الغزوة مهما كان خطرها أشد من الغزوات التي سبقت فإن إيمان المسلمين بعقيدتهم التي تدعوهم إلى حماية كيانهم وعقيدتهم كان من أضخم أعمال المقاومة في أشد الظروف قسوة .

وهم يعرفون الآن أبعاد المؤامرة التي دبرت لهم في سبيل احتوائهم

والسيطرة على مقدراتهم وخاصة تدمير وحدتهم الإسلامية الجامعة مما مكن لرأس جسر للصهيونية في بلادهم وهم يعلمون أن منطلق التحرر الكامل يبدأ من الإيمان بشريعتهم والعودة إلى تطبيقها وإقامة المنهج الرباني على أرض الإسلام مرة أخرى بعد أن حطمه النفوذ الأجنبي وفرض القانون الوضعي والربا والعلمانية .

* * *

والمسلمون اليوم هم خمس سكان هذا الكوكب ، يمتلكون منطقة متكاملة ممتدة من حدود الأطلسي إلى المحيط الهادي إلى جنوب خط الاستواء في الجنوب ويملكون إمكانيات هائلة من الثروة البشرية والطاقات الاستراتيجية والمساحة الخضراء تحسب لها في موازين القوى العالمية كل حساب .

فهم قوة سياسية ، وقوة عسكرية ، وقوة اقتصادية ، تجمعهم العقيدة الواحدة والتاريخ الواحد .

وتمتلك الأمة الإسلامية مصادر هائلة من الطاقة تتمثل في نصف الإنتاج العالمي من النفط ونصف الاحتياطي العالمي من الموارد والثروات (الحديد والنحاس والبولسيف والكروم واليورانيوم والرصاص والفوسفات والكوبلت) ومن هنا كانت مؤامرة النفوذ الأجنبي على الأمة الإسلامية في السيطرة الاقتصادية الربوية والغزو الشيوعي والرأسمالي فضلاً عن الغزو الثقافي وتسليط الدعوات الهدامة (الماسونية ، الروتاري ، الليونز ، البهائية والقاديانية) وقد عمل النفوذ الأجنبي على تمزيق أوصال الأمة الإسلامية فتوزعت إلى كيانات تحت نفوذ الغرب ثم ضربت في الصميم باقتحام الصهيونية لها .

والرقعة الإسلامية بحكم موقعها في قلب العالم كانت أيضاً مهددة طوال عصور التاريخ القديم والحديث لمكانها الاستراتيجي الفريد حيث البحر المتوسط شريان التجارة العالمية الحيوي ، الذي تطل على سواحله تركيا وسوريا ولبنان وفلسطين ومصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب وحيث البحر الأحمر هو بحر إسلامي تماماً .

* * *

ولقد كان الإسلام خلال أكثر من ألف عام متصلة صاحب الحضارة من حدود الصين إلى حدود فرنسا .

ويقرر (أرنولد توينبى) أن الإسلام لم يدخل في معركة مع رسالة عيسى (عليه السلام) وقد استرد عباده الإله الواحد التى دعا إليها إبراهيم من قبل وهكذا حمل الإسلام شعلة التوحيد بين المسيحيين والمشركين من جهة والهندوس المشركين من جهة أخرى ، إن عقيدة التوحيد التي جاء بها الإسلام هى أروع الأمثلة على فكرة توحيد العالم وإن في بقاء الإسلام أمل العالم كله ، كذلك فإن الإسلام (كما يقول بارتلمي سانهلير) قد أحدث رقياً عظيماً فقد أطلق العقل الإنساني من قيوده التي كانت قاصرة حول المعابد وبين أيدي الكهنة من ذوي الأديان المختلفة فارتفع إلى مستوى الاعتقاد بحياة وراء هذه الحياة ، ثم أن محمداً (ﷺ) بتحريمه الصور في المساجد وكل ما يمثل الله (تبارك وتعالى) قد خلص الفكر الإنساني من وثنية القرون الأولى واضطر العالم أن يرجع إلى نفسه وأن يبحث عن الله خالقه في صميم روحه ، والإسلام كما يقول (جوستاف لوبون) يمكن له أن يدعي شرف كونه أول من أدخل التوحيد إلى العالم وما عرف التاريخ فاتحا أعدل ولا أرحم من العرب .

وقال أرنولد توينبى :

إن الغرب اتجه إلى استعباد الدول وسلب ثرواتها بينما اتجه الإسلام إلى تحرير الدول والإنسان ولم يكن الزحف الإسلامي قط استعماراً ولا استعباداً ولا استيلاء على البلاد بل عدالة مطلقة فقد تحررت البلدان الشرقية بالزحف الإسلامي من الاستعباد الروماني وقد امتد هذا التحرر من سوريا إلى أسبانيا وشمال أفريقيا وقد كانت تلك البلاد تحت الحكم الإغريقي نحو ألف من السنين منذ زحف الإسكندر المقدوني حتى تحررت في العهد الإسلامي .

* * *

وكتب المسيو ريمون الرحالة المشهور في رسالة طويلة عن الإسلام والمسلمين يقول : إنه أثناء طوافه في مجاهل أفريقيا لم يكن ليأمن على نفسه وعلى رجاله إلا عند المسلمين فكان يصادف فيهم أنساً ولطفاً وحسن ضيافة بخلاف جيرانهم من الناس الذين لا دين لهم فكثيراً ما غدروا به وبرجاله حتى كان يضطر إلى استعمال الأسلحة النارية دفاعاً عنه وعن رجاله .

وقال : إن نور الإسلام انتشر كثيراً في جهات أفريقيا وآسيا وكان انتشاره طبيعياً لأن المسلمين كانوا قدوة في أعمالهم الحسنة لسائر جيرانهم الذين لحقوا بهم وحذوا حذوهم بالتدريج حتى عرفوا ما الإسلام فاعتنقوه وصاروا مسلمين .

وقد استخدم الألمان والإنجليز كثيراً من المسلمين في معسكراتهم فصادفوا منهم غاية الأمانة وحسن الوفاء إلى غير ذلك .

ويظن أهل الجغرافيا أن المسلمين لا يزيدون على ثلاثمائة مليون ولكن متى وقفوا على مجاهل البلاد وعلموا بما فيها من المسلمين صححوا جغرافيتهم وعلموا أنه يوجد في الأرض من أهل الإسلام ما يزيد على ٤٠٠ مليون من المسلمين (كتب ذلك عام ١٩٢٥ تقريباً) .

* * *

ويقرر كثير من الباحثين أن الكتلة الإسلامية هى أكبر كتلة بشرية مجتمعة إذ تزيد على ألف مليون نسمة موزعة على قارات ثلاث (آسيا وأفريقيا وأوربا) يضاف إليها مسلمون متفرقون وهى مجموعة جغرافية واحدة تغطيها أمة واحدة في مساحة جغرافية متصلة تعيش بعقيدة واحدة وتتبني نظاماً معيناً ينبع من تلك العقيدة مهما اختلفت الأجناس والألوان واللغات التي تمثل فوارق ضعيفة على مساحة عريضة من التشابه والتكامل ، لأن العقيدة هى العامل الأول والأكبر في تكوين الأمة ، فالمسلمون أمة واحدة أينما كانت أرضهم ومهما نأت ديارهم وابتعدت أمصارهم فالإسلام جنس وقومية وانتماء ووطن .

فالعالم الإسلامي (أمة واحدة) وهو عالم فكر لا عالم حدود وهو فكرة يحملها رجال مطالبون باستمرار التبليغ والدعوة والجهاد في سبيلها لا ينقطع جهادهم حتى تقوم الساعة .

وامتداد الإسلام من المحيط الأطلسي غرباً إلى مياة المحيط الهادي شرقاً على مساحة تساوي ١٨ ألف كيلو متر ، هذا الامتداد قريب من نصف محيط الكرة الأرضية .

واليوم يترقب الباحثون ذلك الانقلاب الخطير الذي سيحدثه في

العالم حيث أصبح الإسلام هو الشغل الشاغل للغرب كما يقول (ليرتكوجار بيالدي) المستشرق الإيطالي وما كان لأحد أن يصدق أن شروق شمس الإسلام في أوربا التي عاشت حياتها بعيدة عن الإسلام محاربة له وهى التي قضت حيناً من الدهر وهى عائبة لتعاليمه .

* * *

ويقرر الباحثون أن الإسلام يتفرد بمفهوم أصيل للأمة الإسلامية ، فمفهوم الأمة في الحضارات المختلفة يرتكز على أسس جغرافية ومنها الأسس القومية وفي كل الأحوال يرتكز مفهوم الأمة في الحضارات الأوربية على فكرة المولد كما يفهم من اشتقاق كلمة (NATION) وباللغتين الإنجليزية والفرنسية وكذلك باللغة الألمانية فهى من الفعل (NAITRE) يعني يولد فمفهوم الأمة في الحضارات الأخرى يدور حول البنية أو الأصول البيولوجي أو الأمومة والولادة ، أما مفهوم الأمة في الإسلام فهو مفهوم فكري عقلي وجداني عقائدي .

أي أن الأمة الإسلامية يدور كيانها حول الهيكل الفكري والعقائدي للدين الإسلامي .

وبتأسيس ذلك النظام فإن الإسلام هو وسيلة تكوين الأمة الإسلامية واستمرار كيانها فالتبليغ أو الدعوة الإسلامية هو وسيلة تكوين الأمة الإسلامية ما دام الرسول ﷺ هو خاتم الرسل النبيين جميعاً فإن الإعلام هو العمود الفقري للدعوة الإسلامية الذي يشكل القوة الأساسية لاستمرار كيان الأمة من خلال الدعوة والتبليغ وإقامة الإعلام على أسس عقائدية وحضارية .

* * *

لقد أعطى الله تبارك وتعالى المسلمين في هذه المرحلة من تاريخهم وفي مواجهة الغزوة اليهودية ثلاث قوى كبرى ليكونوا قادرين على مقاومتها : (الثروة والطاقة والتفوق البشري) .

حتى لا يكون للمسلمين عند الله حجة إذا قصروا في مواجهة الخطر أو التخلف عن المرابطة في الثغور أو إعداد القوة القادرة على الحسم أو الردع وإرهاب عدو الله وحماية دينها وثروتها وأن تبقى دائماً على تعبئة حتى لا يفاجئها عدوها بالإغارة عليها واحتلال أرضها .

* * *

الفصل الرابع

مصر الإسلامية

أنور الجندي

بيت الحكمة - ص.ب (٥ - ١٣٤١١) شبرا الخيمة / مصر - ت.وفاكس : ٢٢٠٧١٢٤

عبقرية المكان أو شئ من أحاديث الجغرافيا أو التاريخ ليست
وإنما هو الإسلام سر عظمة مصر وهو سر تكوينها الاجتماعي المتوحد حول مفهوم أهل السنة والجماعة ، وهو الذي أعطاها هذا الطابع .

(١) القادر على المقاومة وصد القوى المختلفة في أعماقه .

(٢) والقادر على الثبات والإخاء والتسامح .

(٣) والله ينسب كل فضل يراد أن ينسب إلى مصر سواء كان ذلك من وقائع التاريخ أو أحداث العصور .

فإذا قيل عن قدرة مصر في استيعاب العناصر الوافدة إليها كالمماليك والأيوبيين واصطناعهم للدفاع عنها فإنما هو الإسلام ، كذلك فإن الصلة مع العثمانيين لم تكن صلة استعمار وسيادة .

وما أعطيت مصر قبل الإسلام إنما كان من عطاء الحنفية السمحاء التي جاء بها إبراهيم عليه السلام وليس مما ينسب إلى توحيد إخناتون .

وقد أعطى الإسلام مصر إباء القهر ، والشجاعة والفداء والتضحية والقدرة على المرابطة في مواجهة العدو على مدى العصور حتى قال الرسول ﷺ مقولته التي تحدد الموقف تماماً : ستفتح عليكم بعدي مصر فاتخذوا منها جنداً كثيفاً فهم خير أجناد الأرض ؛ ذلك لأنهم في رباط إلى يوم القيامة .

وقد استطاعت مصر الإسلامية أن تستوعب الوطنية والعروبة في إطار الإسلام وكانت قادرة على رد الغزوات الفكرية والثقافية والخروج من التبعية والعودة إلى المنابع .

كما استطاعت أن تستوعب المؤمنين بكل دين منزل وشكلت ثقافتها الإسلامية الجامعة فكانت ثقافة كل مصري أياً كان دينه وعقيدته فقد تركت لكل عقيدته ووحدت الثقافة لكل المصريين تحت لواء الإسلام .

ولقد جاء الإسلام إلى مصر بالتحرر الكامل من أسر استعمار روماني بغيض استمر أكثر من ألف عام ، وقد وجد أقباط مصر في الإسلام منقذاً وحامياً وحافظاً لبقاء مسيحيتهم في مواجهة وثنية الغزاة الرومان ، جاء الإسلام فلم يفرض على أهلها شيئاً ولكنه اكتفى بأن أعاد لهم حريتهم وتركهم يزاولون عباداتهم في أمان .

حرر الإسلام أهل مصر من الرومان ومن الوثنية فقد كان الرومان ينتهكون حرمات المصريين مع اضطهاد مستضعفيهم ، قال ماسبيرو الأثري الفرنسي : إن رجال الطبقات العليا من الوثنية من سلالة رؤساء الكهنة وأصحاب الإقطاعيات والعظماء قد استسلموا لتيار هذا الدين (المسيحية) بعد أن قاوموه مدة من الزمن ، غير أنه بقى في ظاهرهم النصراني كثير من الروح المصرية القديمة وقد قيل إن الكنيسة الأولى للعهد الأول للمسيح استمدت تعاليمها من مصدرين هما أنطاكية والإسكندرية ، ومعنى هذا أن الفرعونية لم تضمحل بل اتخذت من طلائع المسيحية ذريعة لتجديد حياتها بضع مئات من السنين قبل ظهور الإسلام .

وإذا كانت المسيحية ظهرت لإنقاذ المظلومين من عسف الرومان فإن تشابه المسيحية والوثنية القديمة في التثلث والأكليروس وصكوك الغفران ونظام الطبقات والقربان والمعابد وتوابيت الموتى قد أثر على قدرتها في تحرير الشعوب .

وقد أكدت دراسات ديموغرافية جادة بأن الإسلام جاء حداً فاصلاً في تاريخ المنطقة كلها . وأن هناك ظاهرة (الانقطاع الحضاري) التي أكدت أن عصر الإسلام قد انفصل تماماً بكل مفاهيمه وقيمه وواقعه عن عصر الفرعونية والمسيحية الرومانية بكل أوضاعها ومفاهيمها .

وان مصر الإسلامية كانت ولادة جديدة عادت تربط الناس برسالة التوحيد الحقيقية التي جاء بها إبراهيم عليه السلام قبل اليهودية والمسيحية بما أصابهما من تحريف وانحراف عن منهج الله تبارك وتعالى .

ولذلك فقد لقيت الدعوة المتجددة إلى الفرعونية مقتاً شديداً في هذا العصر الذي تعالت فيه الدعوة إلى الأصالة والعودة إلى المنابع الإسلامية لأنها تحمل معها الإعجاب بالمقومات الوثنية من الاستبداد والظلم والخرافات وطغيان الفرد والإمبراطور الإله فضلاً عن الهياكل والمعابد وقد حرر الإسلام الإنسان من الوثنية ومن العبودية لغير الله تبارك وتعالى .

* * *

كذلك فإن الفكرة العربية لم تكن هدفاً نهائياً ولكنها جاءت بعد أن سقطت الوحدة الإسلامية وكانت في نظر القائلين بها مرحلة تجمع في سبيل الوصول إلى الخلافة وإلى الجامعة الإسلامية ، أما الذين حاولوا أن يجعلوها هدفاً رئيسياً منفصلاً مستعلياً بالعنصر والدم والعرق فقد كانوا يعارضون تيار التاريخ وطبيعة الأشياء ، ذلك أن فكرة الوحدة الإسلامية قد قامت أساساً على وحدة الفكر والعقيدة والمشاعر الروحية والنفسية وهي لا يمكن أن تتيسر في ظل فكرة أخرى جزئية كالفكرة العربية ولكن النفوذ الأجنبي كان يعمل على عزل الفكرة العربية من ترتيبها الطبيعي

كمرحلة على طريق الوحدة الإسلامية ، وتفريغها من مضمونها الإسلامي أساساً ليجعلها أشبه بمفهوم القومية الغربية الوافد ، الذي يقوم على الصراع وعلى الدماء وعلى الاستعلاء بالجنس والعنصر .

ولقد تبين بعد هذه التجربة الضخمة تحت اسم القومية العربية أنه قد عجزت كل هذه الجهود عن تحقيق الهدف لأن الذين قاموا به اختاروا مفهوم القومية الغربية الوافد ولأنه لم يبدأ من منطلق الأصالة ، ولقد ظن كثيرون أن الوحدة العربية غاية بينما هي في حقيقتها في التصور الإسلامي مرحلة على الطريق : طريق الوحدة الإسلامية .

* * *

وإذا كان لنا أن نقول شيئاً فإن الإسلام هو الذي أقام هذه العروبة فلم يكن للعرب قبل الإسلام وجود جامع ، فالإسلام هو الذي أعطى العروبة معناها ، وليس كما يقول القوميون العلمانيون مما هو باطل مضلل بأن العروبة سابقة على الإسلام .

كذلك فقد حفظ الإسلام للعرب شخصيتهم العربية الإسلامية ولغتهم العربية البليغة ولسانهم العربي المبين وتراثهم الفكري والعلمي والعربي إذ لولاه لفقدوا كل ذلك وبادوا كما بادت أمم وشعوب من قبلهم .

وما يزال الإسلام ينبوع عزة العرب وكرامتهم وقوتهم وجامع أرواحهم وقلوبهم وعقولهم ففي ظله قامت دولة عربية إسلامية عظمى وعلت منارة حضارة عربية إسلامية كانت كوكب الهدى في العصور الوسطى ومن أنوارها قبست أوربا من بعد .

والعروبة بغير الإسلام لقيط بلا معنى والعرب بدونه جثه هامدة

وكلاهما مكمل للآخر ومتمم له ويحتاج إلى الآخر كما يحتاج اللفظ إلى المعنى والشكل إلى المضمون ولا تناقض ولا تباين بين العروبة والإسلام .

والإسلام لم يلغ العروبة وإنما هذبها ونظمها ونقاها من التعصب القومي ونفى التعصب العرقي والتمييز العنصري .

* * *

ومعنى هذا كله أن عروبة مصر جزء من كيانها الإسلامي وأنه ليس هناك تناقض على النحو الذي يحاول أمثال الدكتور زكي نجيب محمود إثارته حين يقول : كيف يكون المصري مصرياً وأن يكون في الوقت نفسه عربياً ؟ ، هذا التساؤل ليس إلا محاولة لإثارة الشكوك والشبهات في صدور الناس الذين يعرفون أن الوطنية والعروبة والإسلام هى حلقات ثلاث في بناء متكامل لا تعارض فيه ولا صراع ولا خلاف وذلك لأننا نستمد مفهومنا من التصور الإسلامي الذي يتميز بالتكامل الجامع وليس عن طريق الانشطارية الغربية التي تضع القيم في مواجهة بعضها من أجل خلق جو من الصراع والتضارب .

فالوطنية أرض والعروبة جنس والإسلام عقلية وعقيدة وفكر جامع ولم يختلف الإسلام مع الوطنية أو القومية كما اختلفت أديان أوربا على النحو الذي قامت من أجله المذابح والصراعات .

ومن ناحية أخرى فإن الثقافة العامة في هذه المنطقة هى الثقافة الإسلامية التي هى ثقافة كل صاحب دين ، فهى التصور الجامع الذي نشأت عليه العقليات في جوهرها حيث لا توجد ثقافة مسيحية منفصلة .

* * *

وإذا كان لنا أن نتحدث عن أثر الإسلام فإنه قد خلص الرومان من عبادة المسيح والصليب والإجنار والرهبان والملوك وخلص الفرس من عبادة النار وخلص الأمة الطورانية من عبادة الذئب الأبيض والأمة الهندية من عبادة البقر خروجاً إلى عبادة الله (تبارك وتعالى) وحده ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام .

* * *

الفصل الخامس

خصائص الإسلام

أنور الجندى

بيت الحكمة - ص . ب (٥ - ١٣٤١١) شبرا الخيمة / مصر - ت. وفاكس : ٢٢٠٧١٢٤

الإسلام دين عالمي : وهو كلمة الله الأخيرة إلى البشرية التي شملت الأمم والعصور وبه ختمت النبوة والرسالات ومن هنا فإن محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء .

﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ﴾ .

وقد جاء الإسلام دعوة الله العامة الشاملة للناس كافة ، وهو بهذا يتميز عن الدعوات السابقة وعما جاء به الأنبياء والمرسلين منذ أول البشرية إلى الرسالة الخاتمة وقد أرسل كل نبي إلى أمته وأرسل محمد ﷺ إلى الناس كافة ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ .

واليوم وبعد أن أتم الإسلام أربعة عشر قرناً فهو مدعو لإنقاذ العالم مرة أخرى بعد أن سقط في براثن الوثنية والمادية والانهيار الخلقي ونحن مطالبون اليوم :

أولاً : بالتعريف بالقرآن الكريم والعمل على نشر تعاليمه وتشجيع حفظه وترجمة معانيه إلى جميع اللغات وتفسيره تفسيراً صحيحاً يتوافق مع القاعدة الثابتة وهي أن الإسلام دين الله الذي يصلح لكل زمان ومكان (وكل الناس إلى الإسلام وإلى القرآن بلغته العربية في الأساس) (٢) والتعريف بالسيرة النبوية وبالمنهج النبوي في حركة الحياة (٣) وعرض مبادئ الإسلام عرضاً شاملاً وميسراً بعيداً عن المفاهيم المشوهة والجدليات المذهبية والفلسفية والتأويلات الغريبة عن جوهره .

ثانياً : التصدي لمن يحاولون النيل من الإسلام أو الحط من شأنه وتصويره على غير حقيقته وهو عمل طويل النفس وعلى جانب لا يستهان به من الدقة والخطورة ولابد لمن يتصدى له أن يسير على هدى القرآن في مجال الدعوة ومن تعزيز القول بالعمل وسلوك سبيل العقل .

﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ﴾ .

ثالثاً : توجيه الأذهان إلى الخطر المحدق بالأمم الإسلامية وضرورة مواجهة هذا الخطر بالجهاد دفاعاً عن الديار والمقدسات الإسلامية والقضاء على ذلك الطابع من الأمن الزائف الذي تعيشه بعض الأقطار الإسلامية حيث تغرق في التحلل والربا والترف بينما العدو يتربص بها الدوائر ، والعمل على تحرير القدس وفلسطين وتحرير كل المناطق الإسلامية المستعمرة وفي مقدمتها بخاري وطشقند وباقي بلاد المسلمين التي تحتلها الشيوعية العالمية .

* * *

ولا ريب أن العمل الأكبر هو إعادة الأمة الإسلامية إلى الإسلام الصحيح من حيث هو منهج حياة ونظام مجتمع .

والمفهوم الجامع للإسلام كما رسمه مجدد القرن الرابع عشر الهجري الإمام حسن البنا هو أن يكون :

دعوة سلفية وطريقة سنية وحقيقة صوفية وهيئة سياسة وجماعة رياضية ورابطة علمية ثقافية ، وشركة اقتصادية ، وفكرة اجتماعية .

وتقوم الدعوة الإسلامية على أساس التعاليم الإسلامية ومعينها هو كتاب الله تبارك وتعالى وسنة رسوله ﷺ وأن كثيراً من الآراء والعلوم التي اتصلت بالإسلام وتلونت بلونه تحمل لون العصور التي أوجدتها والشعوب التي عاصرتها ولذلك يجب أن تستبقى النظم الإسلامية التي تحمل عليها الأمة من هذا المعين الصافي : معين السهولة الأولى وأن تفهم الإسلام كما

كان يفهمه الصحابة والتابعون من السلف الصالح رضوان الله عليهم وأن تقف عند هذه الحدود الربانية النبوية حتى لا نقيد أنفسنا بغير ما يقيدنا به الله تبارك وتعالى ولا نلزم عصرنا لون عصر لا يتفق معه والإسلام دين البشرية جميعاً .

ويقرر الأستاذ البنا باستحالة الخلاف والصدام بين النظر العقلي والنظر الشرعي في الأمور القطعية وأن بعض المجالات مختص بواحد من سبل النظر دون الآخر (فذات الله تبارك وتعالى) أكبر من أن تحيط بها العقول البشرية أو تدركها الأقطار الإنسانية لأنها مهما بلغت من العلوم والإدراك - أي العقول - فهى محدودة القوة محصورة القدرة .

فالعقل البشرى قاصر عن إدراك حقائق الأشياء في مثل هذه الميادين ولذلك فإن الإسلام قد أرشد العقول إلى التزام حدها ومعارفها وقلة علمها وندبها إلى الاستزادة من معارفه .

قال تعالى ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ .

وقال ﴿ وقل رب زدني علماً ﴾ .

وإذا كانت طبيعة البحث هى التي تحدد أداة النظر فيه فهل الأولى أن يكون (العقل) أم (الشرع) فإن خلافهما إنما يكون في (الظاهر) وفيما هو (ظني) لم يبلغ فيه أحدهما مرتبة اليقين .

وقد يتناول كل من النظر الشرعي والنظر العقلي ما لا يدخل في دائرة الآخر ولكنهما لن يختلفا في القطعي .

فلن تصطدم حقيقة علمية صحيحة بقاعدة شرعية ثابتة ويؤول الظني منهما ليتفق مع القطعي فإن كانا ظنيين فالنظر الشرعي أولى

بالاتباع حتى يثبت العقلي أو ينهار .

وإذا كان الإسلام قد رفض غرور العقل وانفراده بالنظر في كل الميادين ودعا إلى التوازن بين نظره وبين النظر الشرعي فإنه لم يحجر على الأفكار ولم يحبس العقول بل جاء يحرر العقل ويحث على النظر في الكون ويرفع قدر العلم والعلماء ويرحب بالصالح النافع من كل شئ (والحكمة ضالة المؤمن أني وجدها فهو أحق الناس بها) .

* * *

ويقول الأستاذ حسن البنا : إننا لا نكفر مسلماً أقربالشهادتين وعمل بمقتضاهما وأدى الفرائض برأي أو معصية ، إلا إن أقر بكلمة الكفر أو أنكر معلوماً من الدين بالضرورة ، أو كذب صريح القرآن أو فسره على وجه لا تحتمله أساليب اللغة العربية بحال أو عمل عملاً لا يحتمل تأويله غير الكفر كذلك فهم لا يكفرون المجتمع بسبب ابتعاد نظمه الحياتية في كثير من جوانبها عن شريعة الإسلام بل يرونه (ناقص الإسلام) لكنه النقص الذي لا يدخله في الكفر أو الجاهلية بل ندعو إلى إستكمال النواقص وتلافي السلبيات) .

« لقد اندمجت مصر بكليتها في الإسلام بكليته ، عقيدته ولغته وحضارته ودافعت عنه وذادت عن حياضة وردت عنه عادية المعتدين وليس تفريطها فيه بالشئ الهين ولا إبعادها عنه بالأمر المستطاع مهما بُذلت في سبيل ذلك الجهود الهدامة المدمرة . ومن هنا بدت مظاهر الإسلام قوية فياضة زاهرة دفاقه في كثير من جوانب الحياة المصرية فأسماؤها إسلامية ولغتها عربية وهذه المساجد العظيمة يذكر فيها إسم الله - تبارك وتعالى - ويعلو فيها نداء الحق صباح مساء وهذه مشاعرنا لا تهتز لشئ

اهتزازها للإسلام وما يتصل بالإسلام ، كل ذلك حق » .

وهكذا فالدعوة الإسلامية التي حمل لواءها الإمام الشهيد حسن البنا لا تدين المجتمع بالارتداد إلى الجاهلية أو الكفر بعد الإيمان وإنما تدعو إلى استكمال الإسلام الناقص وإلغاء الثنائية التي أثمرتها الغزوة الحضارية الغربية فهى تستنهض بالمفهوم الإسلامي الأصيل (الإسلام دين ودولة) الأمة إلى استكمال إسلامها بتحقيق استقلالها الحضاري عن الأعداء .

* * *

ولقد استطاعت الدعوة الإسلامية خلال أكثر من ستين عاماً أن تشق طريقها وتوسع قاعدتها بالرغم من كل المقاومات التي حاولت تجميدها أو الضربات التي وجهت إليها .

وأمكن أن تصل في مطالع القرن الخامس عشر إلى أن تحقق خطوات إيجابية أهمها :

أولاً : المشروع الحضاري الإسلامي

هذا المنهج الذي يستمد قيمه وقواعده من الإسلام (القرآن والسنة) ومن مفهوم الإسلام الجامع ليرسى أعلى القيم وأكبرها وهى المرابطة في الثغور والقدرة على الردع والوقوف الدائم في وجه العدو ثم يبسط في داخل (الأمة الإسلامية) العدل والرحمة والإخاء البشري ويقيم منهج أخلاقية المجتمع وحدود الحلال والحرام ويحول دون الظلم والفساد وينمي روح الفريق ويربط بين الجماعية والفردية دون أن يفقد الفرد حريته أو تفقد الجماعة أمنها ، بل ويدفع المسلم إلى الخروج من الفردية إلى الغيرية

ولقد أقام الإسلام منهجه على أساس وحدة الفكر الجامع التي توسع دائرة الالتقاء والتعارف وتضيق دائرة الخلافات حتى تصل الإنسانية إلى عصر التراحم والوفاء من خلال المنهج الرباني الذي رسمه الحق تبارك وتعالى بديلاً لمنهج البشرية القائم على الصراع والقتال وإثارة الأحقاد والخصومات والمطامع على النحو الذي نراه الآن ، والذي يتطلع دعاته إلى شق القوى المجتمعة وهى تستهدف تحويل الكيان الإسلامي الكبير إلى كيانات وكايتونات متصارعة وذلك بإيقاظ الخلافات المذهبية والتفرقة العرقية .

ولا سبيل لأى مشروع حضارى علمانى أو قومى أو بشرى أن يمكن لقيام الأمة القادرة على حمل رسالة الحق تبارك وتعالى للعاملين إلا إذا استمد مفاهيمه من الأصل الأصيل الخالد وهو (القرآن الكريم) ذلك النص الموثق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذى جمع مختلف القيم الربانية العليا التى وهبها الله للبشر وأرسلها على لسان أنبيائه ورسله . حيث يكون المنطلق اليوم هو نفس منطلق النهضة الأولى من القرآن والسنة المطهرة ، إيماناً بأن القرآن هو كتاب البشرية الخالد الصالح لكل زمان ومكان ومنه تنطلق كل المناهج التى تمكن المسلمين من جنى الثمار من خلال مخاطبة العقل والقلب والوجدان ومن هذا المنطلق يمكن إصلاح كل المنظمات القائمة :

منظمة الانتماء ومنظمة المجتمع ومنظمة التعامل الخارجى مع الغير وتكامل المجتمع الداخلى وتصحيح مسار الاقتصاد ورفض بنوك الربا ووضع المرأة فى مكانها الطبيعى عماداً للأسرة ومعادلة لكيان المجتمع كله وبناء التعليم على أساس التربية الإسلامية وتوجيه أدوات الترفيه والتسلية

الوجهة السليمة التى تحقق هدف الترويح دون الدخول فى دائرة الانحراف والتبذل وحماية الوجود الإجتماعى كله من الانحراف الأخلاقى ومن الفساد والفحشاء والإثم كله .

ويمتلك الإسلام قوة رائعة لا يمتلكها أى منهج بشرى أو أيدلوجية أخرى تلك هى (التوازن) و (التكامل) و (المواءمة) بين القيم بحيث لا يوجد من خلال ذلك صراع طبقي أو خصومة بين الأجيال أو تضارب بين الآباء والأبناء .

هذا التكامل الجامع في الإسلام ظاهرة حية نابضة بالقوة ، يتمثل في (١) تكامل الفكر والوجدان (٢) تكامل العقل والروح (٣) تكامل السلف والمعاصرة (٤) تكامل النظرية والتطبيق (٥) تكامل الثوابت والمتغيرات .

هذا التكامل يفرض مسئولية خطيرة على الفكر الإسلامي وهى أن يقف موقف المراجعة للفكر الواسع المادي الغربي والفكر الروحي والشرقي فاعتبار أن كلا منهما يمثل (انشطارية) لا تحقق سلامة الفطرة حيث تقف النظريات موقف التجزئة بينما يتميز الإسلام بكماليه النظرة والتوجه .

ويجب أن يكون واضحاً أمام الأمة الإسلامية : أن التجربة الغربية بشطريها قد إنتهت بالفشل ، وأن المسلمين لا يأخذون نظم الآخرين ولكنهم يستفيدون من التنظيمات والوسائل فيصهرونها في بوتقة فكرهم ويحولونها إلى (مواد خام) ينتفعون بها .

إن منطلق الوحدة من عناصر الأمة هو الفكر والقيم والثقافة والآداب وهى في منطلقها من رسالات السماء تلتقي على أصول التوحيد والإخاء

الإنسـاني والأخـلاق مـع تفـاوت قليل ، ولكن رسـالة الإسـلام منذ جـاءت صـهرت كل قيم الأديان وأخلاقياتها في منظور جامع واحد قوامه اللغة العربية .

وقد جمع القرآن الكريم في أصوله رسالات السماء كلها من صحف إبراهيم وتوراة موسى وزبور داود وإنجيل عيسى ثم هو المهيمن على هذه الكتب بعد .

فالواقع أن عوامل الوحدة موجودة وقائمة ، والثقافة الإسلامية تمثل الآن ثقافة المنطقة العربية والإسلامية بكل أديانها وعقائدها التي انصهر فكرها في الثقافة الإسلامية فإذا التمس أهل هذه المنطقة منطلقات التوحيد والعدل والشورى والإخاء بما جاء في الإسلام من قوانين لحماية ورعاية وتكريم العناصر غير الإسلامية وإعطائها لحريتها الدينية وإشراكها في تشكيل النهضة والحضارة والعلم ورفض مؤامرات الغزو الفكري التي تهدف إلى إثارة الفتن والوقيعة والصراع بين عناصر المجتمع تذلل هذا الهدف تماماً وكانت الشريعة الإسلامية عنصراً حامياً ومؤكداً لحقوق العناصر المختلفة التي صهرها المجتمع في بوتقته .

ويبقى بعد ذلك النظر إلى العامل الخارجي وحماية الأمة منه وقد كان هذا العالم الخارجي متربصاً ينتهز فرصة أي ثغرة لينفذ منها فإذا أغلقنا هذه الثغرات أمكن دفع تداعي الأمم .

ولا ريب أن ذلك يتطلب تربية إسلامية خاصة تحفظ لعناصر الأمة قدرتها على الإيمان بحق الله تبارك وتعالى على العباد جملة وعلى المسلمين من الاستخلاف والعمران والسعي والتحرر من الضعف والرخاوة والترف الوهمي والتراخي وكلها علامات الهزيمة وما لم تخرج الأمة الإسلامية من

طوابع الرخاوة والترف والانحلال وتدخل مرحلة الخشونة والصمود والعزائم فإنها لن تستطيع أن تحقق وجودها الحقيقي ولن تستطيع أن تقيم مجتمعها المستقل المتميز القادر على العطاء وستظل تابعة ومنصهرة في بوتقة الحضارة المنهزمة الغازية .

وهكذا يستطيع المشروع الحضاري الإسلامي أن يحقق كل ما تحاول أن تقدمه المشروعات القومية والعلمانية جميعاً ويزيد علمها أنه يقدم لها ما تعجز الحضارة الغربية عنه اليوم وهو : (الأمن النفسي) في مواجهة القلق الهائل الذي أصاب النفوس والأرواح وما أحدثته عبادة العجل الذهبي ممثلاً في المادة والربا من زلزلة القيم والأخلاق .

ومن قبل حارب المسلمون مفاهيم القومية والليبرالية والاشتراكية جميعاً وتأكدوا من عجزها عن العطاء الحقيقي في مجال الأمة التي بناها الإسلام منذ أربعة عشر قرناً ومن هنا فقد أصبح الاختيار الإسلامي حقيقة واقعة وأصبح المشروع الإسلامي مطلبا لا نحيد عنه وله من سعة الإسلام وقدرته على التكامل والتوازن والموائمة بين القيم ما يحول دون الاصطدام أو الارتطام على النحو الذي يقع في الأيدلوجيات ، كما أن له من سعة الأفق وتحدد الأطر ومرونتها ما يحول بينه وبين أن تصيبه أزمة المتغيرات التي هزمت كل المذاهب البشرية ودفعتها إلى البحث عن وسائل الحذف والإضافة .

* * *

ويمكننا أن نلخص نقاط المشروع الحضاري الإسلامي فيما يلي :

أولاً : طبيعة الإسلام المتكاملة للقيم ، الجامعة بين الثوابت والمتغيرات .

ثانياً : طبيعة الإسلام الجامعة بين النظرية والتطبيق .

ثالثاً : تكامل العقل والوجدان ، الربط بين التراث والمعاصرة .

رابعاً : إثبات أولية الإسلام في بناء المنهج التجريبي ومنهج المعرفة ذي الجناحين وقوانين قيام الحضارات والأمم وسقوطها .

خامساً : التصور الإسلامي المتميز بذاتيته الخاصة .

سادساً : علاقة الإسلام بحضارات ومعطيات الأمم الأخرى (نأخذ وسائل وأدوات وتنظيمات ولا نأخذ نظماً وما نأخذه يكون بمثابة مواد خام نصهرها في بوتقة فكرنا) .

سابعاً : التكامل الإسلامي بين الوطنية والعروبة والإسلام .

ثامناً : تميز التصور الإسلامي في العدل الإجتماعي عن الإشتراكية وفي الشورى عن الديمقراطية .

تاسعاً : العروبة جزء من الأمة الإسلامية (حيث تتكامل العروبة والإسلام أساساً) .

عاشراً : التكامل بين المادية والروحية في مفهوم التقدم .

حادي عشر : الجسم الإسلامي لا يقبل العنصر الغريب ويرفضه .

ثاني عشر : التحرك من خلال الربانية والأخلاقية .

ثالث عشر : التحول من الفردية إلى الغيرية .

رابع عشر : تلاقي الأجيال فليس بينها صراع ، وهناك دفع وليس صراع بين المجتمعات .

خامس عشر . تخلف المسلمون حين تركوا أصول دينهم وتعلقوا بالقيم الوافدة ولو عادوا إلى الله لقبلهم (الإسلام لم يتخلف ولم يهزم وإنما تخلف معتنقوه) .

سادس عشر : للإسلام مفاهيم أصولية متحررة في كل القيم تختلف عن مفاهيم الغرب .

سابع عشر : الإسلام وطن والإسلام جنسية ولا يقر الإسلام مسألة اللون والجنس والعنصر والدم .

ثامن عشر : أسبقية الوحي على العقل ، وهيمنه الوحي على العلم .

تاسع عشر : الإيمان بالله الواحد الأحد والنبوة والبعث والجزاء .

عشرون : مسئولية الإنسان الفردية والتزامه الأخلاقي .

* * *

إن أبرز معالم المشروع الحضاري الإسلامي أن لا يكون هناك مجال لهيمنة أجنبية في الأمة الإسلامية .

ثانياً : أسلمة العلوم الإنسانية والاجتماعية ، لا ريب أن مشروع أسلمة العلوم والمعارف هو أحد الخطوات الإيجابية في بناء منهج « التأصيل الإسلامي » .

ولقد اتسع نطاق هذا المشروع وتحققت الخطوات الأولى له في مجالات المعرفة والنفس والاجتماع والأخلاق والأدب على نحو أزعج خصوم الإسلام مما أدى إلى تعرض الدعوة إلى حملات ضارية تستهدف وأدها في مهدها واقتلاعها من جذورها والحكم عليها مسبقاً بالعقم وعدم الجدوى .

ويقود هذه الدعوة مجموعة من خصوم الإسلام وعلى رأسهم الدكتور زكي نجيب محمود الذي كان ركيزة للفلسفات المادية في مناهج المدارس المصرية ، والمهاجمون لأسلمه العلوم الإنسانية يستندون في نقدهم إلى الاحتجاج بالمنهج العلمي وما يستلزمه من موضوعيه وينفون أن تكون هناك معرفة إسلامية ومعرفة غير إسلامية ويخلطون خلطاً مقصوداً بين ما يتصل بالعلم وما يتصل بالدين .

وهذا يعني أن المعترضين لا يفهمون الفرق بين الإسلام وبين الأديان وأن هناك علم نفس مسيحي وعلم نفس يهودي .

وأن هذه العلوم تستمد جذورها من التراث المسيحي أو اليهودي على النحو الذي كشف عنه الدكتور صبري جرجس .

وأكبر أخطاء المهاجمين هو قولهم : إن العلوم الإجتماعية والإنسانية في عصرنا قد استقرت على المنهج التجريبي الخالص مثلها مثل العلوم الطبيعية . ناسين أن هناك فوارق عميقة بين العلوم المتصلة بالإنسان ومشاعره وأخلاقه وتصرفاته وبين المنهج التجريبي المتصل بالمادة .

ولقد كان من أكبر أخطاء الغرب أن ترك هذه العلوم الاجتماعية والإنسانية تقع في أسر العلوم الطبيعية أولاً ثم في دائرة مخططات الغرب السياسية فقد جعلها ذلك تخضع للغرب أو للشرق ، كذلك فقد استعانت الحكومات الاستعمارية ببعض العلوم الإنسانية وبخاصة (الانثربولوجيا) الاجتماعية في توطيد أركان الإستعمار على نحو ما كان يحدث في المستعمرات البريطانية في أفريقيا حيث كان يجري العلماء دراسات خاصة بين القبائل والشعوب الخاضعة لحكمها لتزيد من قبضتها عليهم ومن شأن هذا أن يلقي ظلالاً كثيفة على ادعاء الكثيرين من المشتغلين

بالعلوم الإنسانية بأنهم يتوخون الموضوعية في دراساتهم وبحوثهم .

ومن هنا يجب أن تكون هناك تفرقة واضحة بين أصحاب العلوم الطبيعية وأصحاب العلوم الإنسانية والإجتماعية .

وإذا تقرر أن علم الاجتماع الغربي قد عكس أيدلوجيا الفكر الغربي وأن علم الاجتماع الماركسي قد فعل نفس الشئ فإن معنى ذلك أن كلا العلمين قد أسقطا الموضوعية وسلامة المنهج وتحرره من التبعيه ومن هنا فقد تأكد أن العلوم الاجتماعية ليست علوماً مجردة خالصة لوجه العلم والحقيقة ولكنها علوم ذات مضامين إيدلوجية وتبعية سياسية في النهاية .

إن الباحث في هذه العلوم لا يستطيع من حيث أنه إنسان أن يتخلى عن انتماءاته الأيدلوجية وتوجيهاته الفكرية والسياسية والعقدية ولما كان من المحال أن تتخلص العلوم الإنسانية من الأحكام القيمية والانتماءات الأيدلوجية والتوجهات الفكرية فإن مفكرينا لابد وأن يعودوا إلى مناهجهم الأصيلة حتى يتحرروا من التبعية الماركسية أو الليبرالية أو المادية التاريخية جملة ومذاهبها الفلسفية من براجماتيه ووضعية ووجودية .

ومن هنا فإننا ندعو إلى التحرر من التبعية الفكرية الأجنبية لتحل محلها دعائم قوية ذات جذور ضاربة في أعماق ثقافتنا .

* * *

ويجدد بعض الباحثين قواعد أسلحة العلوم الاجتماعية في عدة عناصر أساسية :

أولاً : ضرورة إعادة تحديد مفهوم (العلمية) والتفرقة بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية .

ثانياً : ضرورة اعتبار (الوحي) ضمن المصادر المعرفية لعلم الاجتماع وبذلك يمكن تجاوز السلبية التي وقعت فيها النظريات الاجتماعية التي اعتمدت على أفكار بشرية محضة ودراسة قضايا تتجاوز قدرات العقل البشري نفسه مما أوقعها في كثير من التناقضات .

وما يمكن أن يوفره الوحي في مجال المعرفة الاجتماعية :

(١) أهمية الوحي في توثيق المصادر والمعرفة لعلم الاجتماع .

(٢) أهمية الوحي في تصحيح أخطاء ميتافيزيقا علم الاجتماع .

(٣) أهمية الوحي في صياغة القوانين الاجتماعية .

ثالثاً : ضرورة التزام المذهبية الإسلامية القائمة على (التوحيد) ، هذا الضابط الذي يشكل الأساس الاعتقادي والإطار النظري الذي يحدد ويوجه البحث الإجتماعي وهو - أي الوحي - يقابل الإطار النظري والأيدلوجي والعقائدي لكل من النظريتين الاجتماعيتين السائدتين (الرأسمالية والماركسية) فلابد من إبراز عقيدة التوحيد كإطار عقائدي ووعاء مذهبي مع التركيز على الجانب التطبيقي .

رابعاً : ضرورة التحرر من النزعات الذاتية والتوجيهات الأيدلوجية .

خامساً : ضرورة التزام النظرة المعيارية مع تكامل النظرة .

(وذلك في مواجهة فصل علماء الاجتماع المعاصرين بين البحث الاجتماعي وبين مجال القيم أو بين ما يسمونه بأحكام القيمة وأحكام الواقع .)

سادساً : ضرورة تحديد الثابت والمتغير .

ويأتي هذا الضابط ليرد الخلط الذي تقع فيه المفاهيم الوضعية بين ما هو ثابت وما هو متغير ، ويفرق بين مستويين مختلفين :

(مستوى القيم والعقائد والنظم المحددة) التي تأخذ صورة نهائية .

و (مستوى الواقع والظواهر التي تخضع لهذه العملية تبعاً لتغير الظروف والبيئات) « محمد أفريان » .

* * *

ويكشف (الأستاذ عبد الفتاح أحمد فؤاد) عن الفوارق العميقة من مفهوم الإسلام ومفهوم العرب للعلوم الاجتماعية : إن الدعوة الإسلامية لا تعني الانغلاق الفكري كما يتوهم خصومها فهى ليست معادية للمنهج التجريبي بل تضعه في موضعه الصحيح من حيث أنه وسيلة تعين على الفهم ؛ توطئه للتحليل والتفسير وصولاً إلى الإصلاح فالغرب يعتمد في البحث عن المصطلحات والمفهومات التي تعتمد على الوقائع المحسوسة وحدها ولا يكترثون للثغرات التي تحمل فى ثناياها عقيدة الباحث لأنها في زعمهم غير موضوعية .

ولقد أوضح أن بعض علماء الاجتماع الغربيين المعاصرين (لندبرج وواتركن) يعرفونه بأنه أحد العلوم الإنسانية بينما لا يزال علم الاجتماع عاجزاً حتى اليوم عن تقديم الحلول لمشكلات العالم الاجتماعية ، فلماذا نوصد الباب أمام من يريد أن يخرج هذه العلوم من أزمتها ؟ وما الغريب في دعوة أصحاب منهج الأسلمة إلى أن هذه العلوم يجب أن تستند إلى العقيدة (أو الأيدلوجية) الإسلامية وأن ترتوي من منابعها الصافية ؟

أفمن أسس هذه العلوم على عقيدة صحيحة راسخة خير ؟ أمن

أسسها على أيدلوجيات مشكوك في صحتها . ؟!

(أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ؟ أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار) .

إن مفهوم لفظ الدين عند غير المسلمين مخالف لمفهومه في الإسلام .

فمن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يجده في أنظمة سياسة أو اجتماعية أو اقتصادية ، أما الإسلام فهو دين جامع تشمل تعاليمه السامية تنظيم حياة الإنسان في الدنيا وتزيد شئون المجتمع في هذا العالم .

إن قصور الأديان الأخرى وعجزها عن تقديم حلول لمشكلات الإنسان النفسية والاجتماعية والاقتصادية قد أدى إلى ظهور (العلمانية) وهى الدعوة إلى فصل الدين عن أمور هذا العالم ، وإن كان هذا له ما يبرره في الغرب فإن الترويج له في الأمة الإسلامية هو تقليد أعمى إذ كيف يتسنى للمشتغلين بالعلوم الإنسانية في هذه الأمة أن يطرحوا جانباً الشريعة الإسلامية ومصادرها وفي مقدمتها كتاب الله وسنة رسوله ؟ أفلا يجد علماء النفس في القرآن الكريم مدحاً للصابرين والمتوكلين والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ؟!

ألا تعين توجيهات القرآن علماء النفس على إيجاد الحلول لكثير من المشكلات والأمراض النفسية ؟

ومن ناحية أخرى : ألا يعين الكتاب والسنة علماءنا على الفهم الصحيح لنشأة الدين ؟ وهدفهم مخالف لتفسير (أوجست كومت) الذي

زعم أن تطور العقل البشري مر بثلاثة مراحل : الدينية والميتافيزيقية والوضعية وأن المرحلة الدينية ثلاث مراحل (الوثنية - تعدد الآلهه - ثم مرحلة التوحيد) .

أما التفسير الإسلامي فهو مباين تماماً لهذا الترتيب : إذ أن (التوحيد) هو الأصل وهو دين الفطرة الذي كان عليه آدم أول البشر ثم طمست عقيدة التوحيد شيئاً فشيئاً ليحل محلها الشرك والتعدد والوثنية .

والسؤال هو : ألم يتطرق القرآن والسنة إلى ميدان الإقتصاد أو المعاملات التجارية ، ألم يفتح الإسلام باب التجارة ويغلق باب الربا ، ألم يحدد نظام المواريث والزكاة وأوجه إنفاقها . ؟!

إن الدين (بمفهومه الصحيح) لا يمكن إغفاله عند الأخذ بالإكتشافات العلمية في أمتنا الإسلامية ، وإنه لا مناص من عملية (الأسلمة) التي يرفضها العصريون ، وهى عملية تستهدف غربلة الاكتشافات العلمية في شتى المجالات إبتغاء تنقيتها من العناصر غير الملائمة وانتقاء العناصر الصالحة منها أو إجراء تعديلات أو وضع ضوابط وشروط يجب مراعاتها قبل الأخذ بها .

وفي مجال الإسلام لابد من وقفات عند الطب الغربي في علاج العقم عن طريق التلقيح الصناعي . ولابد من دراسة موقف الإسلام قبل قبول ذلك .

ونحن - في حدود أصالتنا - لا نقبل إذا أعلن علماء النفس الغربيون إن الإباحية يمكن أن تقضي على بعض الأمراض النفسية أو المشكلات التي تنجم عن الكبت الجنسي ، ولا نقبل إذا رفض علماء الاقتصاد الماركسيون جميع صور الملكية الفردية وإستبعدوا نظام

المواريث ولا نقبل إذا أقر علماء الاقتصاد الرأسماليون المعاملات الربوية .

لا نقبل أبداً ويجب أن نصمد واقفين عند الحدود التي رسمها لنا الإسلام مهما قيل لنا من أن تلك التجاوزات ستحقق مكاسب فهى مكاسب دنيوية تافهة لا قيمة لها إزاء العقاب الذي ينزل بنا لتجاوزنا حدود الله تبارك وتعالى .

* * *

الفصل السادس

الشريعة والقانون

أنور الجندي

بيت الحكمة - ص . ب (٥ ١٣٤١١) شبرا الخيمة / مصر - ت. وفاكس : ٢٢٠٧١٢٤

إن قضية تطبيق الشريعة الإسلامية في المجتمعات العربية والإسلامية في هذه المرحلة بالذات والعقد الأول من القرن الخامس عشر تدخل مرحلة « مواجهة الواقع » بعد أن كانت قاصرة على مجرد مطلب يتردد على الألسنة والأقلام في محاولة لتأكيد حقيقة أساسية هى : إن المجتمع الإسلامي قد خضع في خلال أكثر من قرن من الزمان – في مختلف أقطار العالم الإسلامي إلا قليلا – إلى تطبيق القانون الوضعي حين سيطر النفوذ الاستعماري وحجب الشريعة والمنهج الإسلامي جملة عن المدرسة والمحكمة والمصرف .

وقد تعالت الأصوات بالدعوة إلى العودة إلى تطبيق الشريعة ، وتحققت خطوات أساسية هى تضمين الدساتير هذه المادة :

[الشرعية الإسلامية مصدر أو المصدر الأساسي للتشريع] وكان من قبل دين الدولة الرسمي هو الإسلام واللغة العربية هى لغتها .

والأمر الثاني ، هو تشكيل جماعات من علماء الفقه والقانون لتضمين الشريعة الإسلامية في مواد قانونية على نمط القوانين الوضعية .

وقد حشدت البلاد العربية الإسلامية قدراً من هؤلاء العلماء وتحقق إعداد كثير من هذه القوانين الإسلامية ومنها ما طبق في بعض البلاد ثم تبين في هذه المرحلة إن هناك أربع دول إسلامية وعربية تطبق الشريعة – سواء كان هذا التطبيق كاملاً أم جزئياً – وهى السودان والباكستان والسعودية وإيران .

وإن هناك صحوة إسلامية غامرة في مصر وتونس والجزائر والأردن فقد استطاع عدد من رجال الدعوة الإسلامية أن يقتحموا المجالات

النيابية والتشكيلات العمالية والنقابية ويؤكدوا وجود التيار الإسلامي فيها .

ولاريب أن في تجربة السودان والباكستان جوانب كثيرة من التعقيد والتداخل ، ومحاولة النفوذ الأجنبي السيطرة والإفساد والحيلولة دون تحقيق الهدف ، حماية للتيار الربوي الذي يحكم الاقتصاد العالمي وهو ما نجده ظاهراً في بلاد كثيرة في محاولة لضرب الخطط الجديدة لقيام مصارف إسلامية ومشاريع إسلامية توجه إليها أموال المسلمين الذين يرفضون الآن التعامل مع البنوك الربوية ويقبلون على المؤسسات الإسلامية التي تتحرى العمل في ميادين المضاربة الإسلامية ، وقد أمكن ضرب مؤسسة كبرى قامت لهذا الغرض ، وتدميرها ، وكان يمكن ترشيدها وإصلاح وجهتها إذا خلصت النيات ، ولكن المخطط الربوي العالمي الذي يزعجه تنامي الإتجاه الإسلامي في مجال الاقتصاد والمصارف ما يزال قادراً على تحطيم القوى الإسلامية الجديدة وقفل الباب أمام قدرتها على النمو والاستمرار .

ومايزال موقف حكام باكستان الجدد بعد مرحلة (ضياء الحق) التي اتسع فيها نطاق العمل لتطبيق الشريعة ، مازال موقفاً غامضاً حيث تراجعت الأوضاع إلى العلمانية في بعض المجالات مما ينذر بموقف الجمود إزاء الخطوات التي اتخذت من قبل ، وكذلك الموقف في السودان حيث تخيم ظلال من الخوف والتراجع .

ومازال صيحات القومية والإقليمية في كثير من بلاد العرب والمسلمين المتمكنة منذ سنوات والتي تعبئها القوى ، مازال تحول دون تمكين الإسلام من الظهور على الساحة حيث تحاك حوله المؤامرات وتنشر

صحف ضخمة واسعة الانتشار عديد من الشبهات والاتهامات بدافع تقليص ظله ودفعه إلى الوراء .

وماتزال حملات القاديانية والبهائية والعلمانية ومنظمات الروتاري والليونز والعلمانيين وغيرهم يصدرون في الهجوم على الإسلام عن قوس واحدة (وهم يملكون وسائل الإعلام ويشرفون على التعليم والصحافة والثقافة والمسرح وأدوات التوجيه والتسلية جميعاً) .

ولقد كانت الدولة السعودية قد سبقت في هذا المجال منذ أكثر من خمسين عاماً عندما طبقت قوانين الحدود ، وما تزال تعمل على استيفاء الجوانب الأخرى وخاصة ما يتعلق بالربا والتعامل الاقتصادي .

ولاريب أن هذا الجانب هو أخطر جوانب القضية إذ أن خضوع العالم كله الآن للنظام الاقتصادي الربوي في معاملاته التجارية سواء الفردية أو العالمية قلل من النواحي المواتية لقيام نظام اقتصادي إسلامي بديل ، يقوم على إلغاء نظام الربا جملة وتفصيلاً .

وماتزال الصور التي تصل إلينا من إيران ومن باكستان توحي بأن هذا الأمر مازال في حاجة إلى دراسات واسعة ومحاولات كبرى .

والواقع أن الغرب الرأسمالي (نتيجة سلطانه الواسع والمتصل خلال أكثر من مائة عام على البلاد العربية والإسلامية) مازال قادراً على إثارة المتاعب في هذا الجانب وخلق المشاكل وتدبير المؤامرات على النحو الذي يجعل بلداً عربياً إسلامياً قرر تطبيق الشريعة الإسلامية كالسودان يواجه هذه المشاكل المعقدة سواء من خلال ذلك الجيب الجنوبي الذي نماه التبشير والذي تعززه قوى مسيحية في القارة الأفريقية كاثيوبيا وغيرها

فضلاً عن أزمة التصحر ووجود مناطق كثيرة في حالة جوع وفقر مدقع ، بحيث تموت المئات كل يوم ، ودون تقديم معونات كافية ، بل أن هذه المعونان مشروطة بالولاء وهى تقدم لجانب واحد هو جانب المتصلين بالكنيسة والمعدين لإخراجهم من الإسلام في مخططات ماكرة لئيمة تقودها منظمات التبشير .

وعن طريق الخبر المذاع توجه الحملة وتنكشف خطط القوى الغاصبة التي تريد أن تقول بأن الاتجاه إلى تطبيق الشريعة الإسلامية هو مصدر كل الأزمات وأن هذه الأزمات تنكشف بالانصراف عن تطبيق الشريعة .

ومن العجيب أن تنزعج الأقلام المأجورة وتصبح ضحية الفزع حين ترى المجتمع الإسلامي يعود إلى الأصالة ويلتمس الفطرة ويصر على العودة إلى منابعة وإلى جذوره ، وإلى ما كان مستقراً ونافذاً خلال أربعة عشر قرناً حتى جاء الاستعمار فأوقفه وحجبه وليس في تصحيح هذا الخطأ الذي فرضه نفوذ غاصب على شعب أعزل بعيب ، بل العيب كل العيب أن يقبل المسلمون – وهم أصحاب الإيمان والعزة والفداء والثقة بالله – أن يقبلوا الذل تحت ظلال قوانين وضعية بشرية تعارض قانون الله تبارك وتعالى وشريعته فضلاً عن الآثار الخطيرة التي ترتبت على حجب الشريعة الإسلامية من فساد في الذمم وانهيار في الأخلاق وتدمير في الكيان الأسري بإحلال الربا والزنا والفاحشة وإيقاف أحكام الإسلام فيها .

* * *

يقول الدكتور يوسف قاسم (رئيس قسم الشريعة بكلية الحقوق –

القاهرة) لقد تفاقمت أزمات المسلمين ومشكلاتهم في ظل القوانين الاستعمارية وقد أقر الإسلام قاعدة العقوبة ومسئولية الفرد عن كل ما تقدم يداه والعقوبات في الإسلام تهدف إلى إيجاد المجتمع الآمن .

ولقد نمت المشكلات وترعرعت في ظل القوانين الوضعية والنظريات البشرية فأصبح من الضروري وضع مناهج تربوية قادرة على إيجاد الولاء للإسلام في نفوس الأجيال الجديدة وقادرة على تحصين المسلم في مواجهة القوانين الوضعية ، إن أعداء المسلمين يدركون أن في إلتزام أحكامه قوة المسلمين وسيادتهم وهذا ما يجعلهم يوجهون كل عنايتهم وخططهم لصرف المسلمين عنه واستخدام وسائل ملتوية لإبعاد المسلمين عن دينهم .

ويرجع هجوم البعض على الإسلام إلى سببين هامين :

(١) الجهل الشديد بالدين وبقيمه وتعاليمه .

(٢) الحقد الشديد على الإسلام وأهله .

أما في مخاوف البعض على مصالح أهل الكتاب في المجتمع الإسلامى عند تطبيق الشريعة الإسلامية فهى مخاوف لا أصل لها ولا سند .

لقد انفرد الإسلام بقاعدة عظيمة حين أمر بالمساواة بين الواجبات والحقوق بين المسلم وغير المسلم في المجتمع الإسلامي وذلك قول الرسول.

* « لهم ما لنا وعليهم ما علينا » .

* « من آذى أمياً فأنا خصمه ومن كنت خصمه خصمته يوم

القيامة » وقد أباح الإسلام لأهل الكتاب ممارسة شعائرهم في أمن تام (أتركوهم وما يدينون به) .

وقال تعالى : لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين (الآية) ويصف البعض العقوبات الإسلامية بالقسوة لما يرى من شدة ظاهرة دون أن يغوص في جوهر العقوبات ليدرك حقيقة أنها تهدف لتحقيق الرحمة الفياضة للجميع .

وقد جعل الحدود تدرأ بالشبهات وفتح أبواب الطمع في مغفرة الله تبارك وتعالى .

* * *

ولقد اتسعت في العقود الأخيرة دائرة البحث في الفقه الإسلامي واستخلاص القوانين والمقررات بما يكشف عن عظمة الشريعة الإسلامية . ووافر عطائها وجاء دور قضاة مصر المؤمنين الذين وجهوا فى أحكامهم النظر إلى ضرورة تطبيق الشريعة في تدليل قانوني مركز وحكيم يتمثل في أن تطبيق شريعة الله تبارك وتعالى يقضى على العنف والشذوذ المؤثم والسلوك الإجرامي في الشارع المصري وتقدم كثير من المستشارين . (محمد جلال الدين حسين ، ومحمود عبد الحميد غراب ، ومصطفى السيد أغا ، وعبد الغفار محمد أحمد) . في حيثيات أحكامهم ببلاغ خطير إلى من يهمه الأمر في البلاد وطالبوا فيه السلطة العليا بأن تحدد المسئولية فيما ارتكبه رجال الشرطة وطالبوا برفع المعاناه عن ضمائر قضاة مصر ، هذه المعاناه التي تعكسها قوانين وضعية يطبقونها جبراً عنهم باسم القانون والشرعية فيحكمون بغير ما أنزل الله ولزم كشف النقاب عن تأصل مناخ العنف وتغلغله على الساحة ، وإن غياب الشريعة

بحدودها هو جوهر المأساة وعمق الكارثة وناشدوا المسئولين الحكم بقانون الله (تبارك وتعالى) حتى تنتهي موجه العنف العارمة والتحايل المارق والشذوذ المؤثم من الشارع المصري كما أكدوا أنه لن يتم إبادة الخطط الإجرامية والعقول الشيطانية إلا بتطبيق شريعة الله .

* * *

ولم يقفوا عند هذا الحد بل كتبوا أبحاثاً إضافية جادة عن محاذير القانون الوضعي فكشفوا عن الخلل القائم بين العقوبة والجريمة في بعض مواد قانون العقوبات فالمادة ١٢٩ مثلاً تنص على أن كل موظف أو مستخدم أو شخص مكلف بخدمه عمومية استعمل القسوة على الناس إعتماداً على وظيفته بحيث أنه أخل بشرفهم أو أحدث آلاماً بأبدانهم يعاقب بالحبس مدة لا تزيد عن سنة أو بغرامة لا تزيد عن مائتي جنيه .

كما تنص المادة ٢٢٨ على عقوبة الحبس مدة لا تتجاوز ستة أشهر وبغرامة لا تزيد عن خمسمائة جنيه مصري أو بإحدى هاتين العقوبتين كل من أدخل في بلاد مصر بضائع ممنوع دخولها ، أو نقل هذه البضائع أو حملها في الطريق أو إخفائها .

وكشف القضاة في أبحاثهم عن الجرائم التي لا يوجد في القانون الوضعي عقوبة لها ومن أبرز هذه الجرائم : جريمة الأم التي عاشرت إبنها وأنجبت منه أطفالاً ثم لم تجد المحكمة نصاً يعاقب على هذه الجريمة لأنه لا يوجد في القانون الوضعي ما يحرم الشذوذ الجنسي مادام برضاء الطرفين .

أما بالنسبة لحد قطع اليد فإنه في القانون الوضعي حين يستبدل بالسجن يخرج معه السارق متمرداً على المجتمع وأكثر شراسة ، ولو

أحصينا عدد النفوس التي أهدرت جسدياً ومعنوياً عند ارتكاب جريمة السرقة بالإكراه لعرفنا أن الأيدي المعتدية كان قطعها كفيلاً بروع من تسول له نفسه ارتكاب الجريمة نفسها وهناك في القانون الوضعي نصوص غير رادعة لا تجعل المجرم يحجم عن الجريمة إذ لا تتناسب العقوبة مع العائد المادي للجريمة كما في قانون المخدرات .

ويقول المستشار محمود غراب (أول من أصدر حكماً بجلد شارب الخمر) : إن الخلل بين العقوبة والجريمة في القانون المدني مرجعه تغيب الإسلام والادعاء بأن الوقت غير ملائم لتطبيق الشريعة مع أن تطبيق الحدود يردع من تسول لهم أنفسهم بارتكاب الجريمة ويمتد الردع إلى الآخرين حين تشهد طائفة من المؤمنين تطبيق الحد مصداقاً لقوله تعالى : (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) .

وليس في القانون الوضعي نص لعقاب قاذف الدين .

إن الساحة المصرية تعج بجرائم لا حصر لها مثل الإتجار في المخدرات وتعاطيها وهتك العرض والاختطاف وشرب الخمر والزنا وخطف الأطفال للتسول بهم .

وهذه الجريمة يمكن القضاء عليها بتطبيق فريضة الزكاة لتحويل المتسول إلى منتج .

* * *

ويقول المستشار عبد الغفار محمد أحمد في واحد من أحكامه في محكمة أمن الدولة العليا : إن مصدر الخطر هو غياب شرع الله عن أرض مصر ووجود مظاهر شتى من المجتمع المصري لا تتفق بأي حال مع

قواعد الإسلام مما أثار غيره القضاة والمستشارين وحميتهم على الإسلام وأشار إلى حاله المعاناه التي وصل إليها الشعب المصري وظهور فوارق واسعة بين الطبقات وضيق العيش بأغلبية الشعب في نفس الوقت الذي يعيش فيه المسئولون في حالة بذخ شديد مما أثار حفيظة الناس .

وأشار إلى موقف علماء المسلمين وعدم اجتماعهم على رأي واحد وتركهم الشباب دون توجيه ديني حكيم بعصمهم من التطرف وعدم تنقيح الكتب الإسلامية من الإسرائيليات .

* * *

ولقد شهدت مصر مراحل متعددة في سبيل إعداد قوانين الشريعة الإسلامية ، التي قام بإعدادها علماء الأزهر ورجال القانون منذ أواخر عام ١٩٧٨ حيث قامت لجان العمل فعلاً بإخراجها إلى النور وكتابة مذكراتها التفسيرية بمراجعها من القرآن والسنة وكتب الفقه وقد طبعت هذه القوانين في ثلاثة أجزاء كبيرة وصدرت ١٩٨٣ .

ثم بدأت مرحلة ما يسمى بتنقية القوانين القائمة التي يمكن أن تعدل لتطابق الشريعة الإسلامية ، كقوانين التعزير والحدود والبنوك والتي تظهر فيها المخالفة الصريحة للشريعة الإسلامية .

وقد اتفق رجال الدعوة الإسلامية من الأزهر وغيرهم على أن يكون تطبيق أحكام الشريعة الخاصة بالحدود والبنوك بالتدريج حسب الظروف القائمة .

وقد عرض كثير من المختصين إلى أنه لابد من العناية بتربية الأمة تربية إسلامية حقيقيه تمهيداً لتطبيق القوانين الشرعية وأن يقوم الأفراد

بتطبيق الأحكام على أنفسهم حتى يمكن إعداد الجو الصالح لتطبيق الشريعة على المجتمع ومن أجل إعداد المجتمع بالتربية فإن أجهزة الإعلام لابد أن تلتزم بذلك وأن ترفع تماماً كل المواد التي تحمل طابع الانحلال الخلقي والحث على الرذيلة والإثارة ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل تقدم بعض رجال القانون بتعديل لقانون العقوبات (وهناك المشروع الذي أعده الحمزة دعبس وتقدم به إلى مجلس الشعب الدكتور إسماعيل معتوق ، حيث عدلت المواد المخالفة للشريعة وخاصة في المواد الخاصة بالقصاص « حد الردة / حد الزنا / حد الحرابة / حد الشرب » .

وهناك قضية الربا وقد اتخذ بعض المستشارين فيها حكماً بإلغاء المواد القانونية المحكوم بها (وهو المستشار محمد سامي السكري) وقال في الحيثيات حيث أن الشريعة الإسلامية في بلد إسلامي هى صاحبة السمو والصدارة على سائر التشريعات الوضعية بما فيها الدستور نفسه لأن مصدرها هو الله جل شانه الذي أمر في القرآن الكريم باتباع شريعة الإسلام وحرم كل ما يخالفها ونهى نهياً جازماً عن العمل بغير هذه الشريعة وقد أمر الدستور بهذه الحقيقة مقرراً أن الإسلام دين الدولة وأن مبادئ الشريعة هى المصدر الرئيسي للتشريع واحترام نصوص وقواعد شريعة الإسلام واجب وملزم لكل من الحاكم والمحكوم عليه على السواء .

ومن ثم فإن كل قانون وضعي جاء على خلاف هذه الشريعة فهو باطل لا تجب له طاعة لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، ذلك أن حق السلطة الحاكمة في التشريع مقيد بأن يكون التشريع متفقاً مع قواعد الإسلام ومن ثم فالخروج عن هذا القيد يوجب على المحكمة الامتناع عن تطبيق القانون المخالف للإسلام أو الحكم به لأن طاعة أولى

الأمر لا تجب لهم إستقلالاً ولا تجب لهم مطلقة وإنما تجب ضمن طاعة الله وفي حدود ما أمر به الله ورسوله .

وقوانين تأخير السداد لا جدال أنها صورة من صور ربا الجاهلية الذي حرمته الشريعة الغراء بنصوص قطعية الثبوت والدلالة في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ومثل هذه النصوص الشرعية لا اجتهاد فيها ويجب إعمالها بذاتها لوضوحها وسهولة تطبيقها دون حاجة إلى تقنينها لسن تشريع وضعي بها .

ومن ثم فنص القانون الذي أباح فوائد التأخير يكون باطلاً لأنه أحل الحرام القطعي المعلوم حرمته من الدين بالضرورة فلا يجوز الحكم به ويجب إهداره وطرحه » .

* * *

قال الشيخ أبو زهرة : ليس علينا أن نهدم هذه القوانين كلها بل علينا أن نغير قوانين الحدود والقصاص والقوانين الربوية : وذكر أن هناك ٥٦ مادة تحتاج إلى التغيير منها ٤٤ مادة فقط في قانون العقوبات .

الفصل السابع

بناء الأجيال على فريضة الجهاد

أنور الجندي

بيت الحكمة - ص.ب (٥ - ١٣٤١١) شبرا الخيمة / مصر - ت. وفاكس : ٢٢٠٧١٢٤

يحفظ المسلمين من عدوان خصومهم ، ولن يحميهم من تآمر أعدائهم إلا أن يكونوا قادرين على حماية ثغورهم وردع كل من يفكر في الاعتداء على أرضهم ولقد كانت أرض الإسلام منذ بزوغ فجره مطمع الدول الكبرى ومازال وستظل لأنها صرة الأرض وأعظم مواقع السيطرة العالمية وثمرات الأرض ومعطيات الحياة .

ومن هنا فقد أوصى الإسلام بغرس إرادة القتال في نفوس النشء منذ الطفولة ، أي في مرحلة التنشئة وبناء الشخصية حتى تكون تلك الصفات جزءاً من وجدانه وتكوينه .

وقد قضت حكمة الله أن تكون الأمة الإسلامية قوية الشوكة عزيزة الجانب فجاء منهج الإسلام في التربية السلوكية شاملاً لكل ما من شأنه بناء شخصية المسلم لتجعل منه لبنة قوية متماسكة ومقاتلاً لا يقهر في الحرب دفاعاً عن دينه وشرفه ووطنه وربط التربية السلوكية بالعقيدة والإيمان .

ومازال المسلمون وعلى مدى العصور في حاجة إلى تجليه مفاهيم الإسلام في هذا المجال وتحريرها فإن العدو يرمي دائماً إلى تلهية شباب الأمم بالتفاهات من الرياضات والألعاب من أجل صرفهم عن هذه العقيدة ، وبناء نفوس مترفه متحلله وأجسام رخوه لا تستطيع أن تقدم نفسها فداء لأمتها وحماية لوطنها وحصانة لعقيدتها ومن هنا فإن الدعوة إلى الجهاد في وجه العدو الغاصب أمر لا يغفل عنه إلا الغارقون في أوهام اللذات العاجلة والذين لا ينظرون إلى بعيد ، ولا يحسبون حساب المؤامرات التي تدبر للأجيال ومن هنا فإن الدعوة إلى الجهاد لم تتحقق

أبداً على الشكل الصحيح الواجب لها منذ أن دخلت مفاهيم الغرب في الحرية وجلت جيوش الاستعمار وغفلت الأمة عن الخطر الداهم القريب منها في أرض فلسطين والقدس أرض القبلة الأولى .

ومن هنا فإن على المسلمين ألا ينسوا فريضة الجهاد تحت ضغط أى ظرف من الظروف وأن لا يخدعهم عدوهم عن مفاتيح الجهاد حتى تتحول بعد قليل إلى تسلط وسلطان ، وحتى لا تسرق مواقعهم الجاسمة كما سرقت في الجزائر ، وفي ثورات عديدة خاضها العرب والمسلمون بروح الإسلام ثم استطاع النفوذ الأجنبي احتوائها .

وعلى المسلمين أن يزدادوا وثوقاً بأن تربية الأجيال على روح الجهاد هو الطريق الذي قطع به إخواننا في أفغانستان شوطاً طويلاً والذي سار فيه أبطال الحجارة (حماس) وهو وحدة الطريق الصحيح لاستخلاص الحقوق وتحرير الأرض الإسلامية واستعادة الهوية ، ولنذكر أن الهوية الإسلامية تمتهن بقوة في مناطق كثيرة وخاصة في الفيلبين وأريتريا والهند تحت اسم الأقليات الإسلامية وفي مناطق أخرى كأندونيسيا وجنوب أفريقيا تحت اسم مؤامرة التنصير الكبرى التي تعد لها القوى الكبرى وتقدم المليارات من أجل القضاء على نفوذ الإسلام .

ولنذكر دائماً أن انتصارات المسلمين كلها في العصر الحديث لم تكن إلا من منطلق الجهاد ، وتجربة الجزائر وتجربة العاشر من رمضان تؤكد هذه الحقيقة وليس شئ أشد خطراً على النفوذ الأجنبي من إعداد المسلمين للمقاومة والمرابطة والاحتشاد في الثغور والقدرة على الردع .

(يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله) .

فعلينا ألا ننسى فريضة الجهاد تحت أي ظرف من ظروف الأمن الخادع فإن العدو يقف لنا بالمرصاد وينتهز أي فرصة نغفل فيها (ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) .

* * *

ولعل أبرز معالم بناء الأجيال على روح الجهاد : بروز قاعدة الفدائية ، هذه الطاقة البشرية الشجاعة والخارقة التي وهبها الله تبارك وتعالى لأجيال الشباب المسلم الغضة .

ومازال العمل الفدائي له وزنه وثقله في ظل كل الظروف وحتى يرث الله الأرض ومن عليها والدول المعتدية تقف أمامه حائرة وعاجزة مهما بلغت إمكانياتها وهو سبيل الخلاص وطوق النجاه للشعوب المعتدى عليها يعوضها عن التفوق الذي تحرزه قوات العدو النظامية .

ولاشك أن منح القوات الفدائية فرصتها بجوار القوات النظامية واجب شرعي لأن الجهاد في الإسلام فرض كفاية تقوم به الجيوش النظامية ، ويتحول إلى فرض عين على كل مسلم ومسلمة إذا دخل العدو بلاد المسلمين وقد دخلت إسرائيل جنوب لبنان والجولان والقدس وجميع فلسطين والقدس وحدها بلد كل مسلم .

وقد كانت القوات النظامية يطلق عليها مرتزقة والقوات الفدائية اسم متطوعة .

يقول الإمام الماوردي في كتابه (الأحكام السلطانية) : أما المرتزقة فهم أصحاب الديوان من أهل الفيء والجهاد يفرض لهم العطاء من بيت

المال بحسب الغني والحاجة أما المتطوعة فإنهم الخارجون عن الديوان في البوادي والأعراب وسكان القرى والأمصار الذين خرجوا في النفير الذي ندب الله تبارك وتعالى إليه بقوله (انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله) .

هذا ولا يحسبن العدو أن تفريط الغالبية من المسلمين اليوم في حق دينهم هو فرصة سانحة لكي يعربد في المنطقة كما يشاء فالأرض لها أصحابها رغم الدعاوي المنحرفة ، ولا يوجد هناك شبر واحد في المنطقة ولا في الدنيا بغير أصحاب وسيظل العدو في المنطقة مهما بلغت قوته أسير الخوف والهلع يطارده ويطرد النوم من جفوفه شبح فتى صغير يخرج من صور أو صيدا أو الخليل ، رضع من ثدي أمه وحفظه عن أبيه :

هذه أرضي أنا وأبي مات هنا

إلى أن قال : مزقوا أعدائنا

* * *

والجهاد له أثره في حياة المسلم بأبعاده الثلاثة :

أولاً : البعد الاقتصادي : ويتلخص في أمرين أولهما : حماية الثروة التي تملكها الأمة الإسلامية إذ من المعروف أن الأمة الإسلامية هي أغنى أمم العالم باتساع رقعتها وتنوع مناخها واستراتچية مواقعها ، ولابد من وجود القوة العسكرية التي تحمي هذه الثروات من عبث العابثين ، وطمع الطامعين بروح الجهاد كعبادة فرضها علينا ديننا وحتمتها عقيدتنا إلا أننا بركوننا إلى الدنيا وتركنا عبادة الجهاد إنما نلقي بأنفسنا إلى التهلكة .

ثانياً : إن الجهاد في سبيل الله يعني دوام تعبئة الأمة لتحقيق حماية ثروتها والدفاع عنها وضمان حريتها في تبليغ الدعوة إلى تحمل رسالتها دون عائق أو إرهاب وهذا يعني أن تكون الأمة عسكرية جاده تنبذ الترف وتدوس بأقدامها المتع الرخيصة متعالية عليها .

ومن هنا وفي ضوء هذا فإن اقتصادها يتمحور في اتجاهين أولهما قلة الاستهلاك بسبب البعد عن الترف والبذخ والإسراف وترشيد الاستهلاك بحيث لا يكون إلا فيما يفيد وينفع من غير إسراف ولا تقتير .

وثانيهما : يتمثل في وفرة الإنتاج بسبب الإخلاص في العمل والأمانة في أدائه والدقة والإجادة في تنفيذه بغية تحقيق الاكتفاء الذاتي للأمة المجاهدة ، لأن الوفرة الاقتصادية هى حيز عون للمجاهدين بينما قلة ذات اليد تضعف من استعداد الأمة وقدرتها على الجهاد .

ثالثاً : البعد الاجتماعي ويتلخص في أن الجهاد في سبيل الله يصهر المسلمين جميعاً في بوتقة واحدة : هى بوتقة المصير الواحد إذ أن الذين يجاهدون في سبيل مبدأ واحد ويشتركون في معركة شريفة واحدة فإن أخوة السلاح بعد أخوة العقيدة تزيد من شعورهم بالتقارب والتراحم والمساواة فهم أخوة تتكافئ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم : الأمر الذي يجعل المسلم دائماً في الحرب وفي السلم يخشى إحساس أخيه في أي مكان ويسعى للتعرف على جميع شئونه ، ما يحزنه وما يسره ولاغرو فعدوهم واحد وغايتهم واحدة واستراتيجيتهم واحدة ، منطلقهم إلى ذلك كلمة عقيدة واحدة (دكتور أحمد يوسف سليمان) .

* * *

ولقد حاول الاستشراق والنفوذ الأجنبي تزييف مفهوم الإسلام عن الجهاد بالقول بأن الإسلام دين سلام ، وليس معنى أن الإسلام دين سلام أنه يعارض فريضة الجهاد في سبيل الله ، وهى فريضة لا تسقط وفي نفس الوقت فإن الإسلام لا ينهي ولا يمنع المسلمين من إقامة علاقات البر مع غير المسلمين ممن لم يقاتلوا المسلمين على دينهم ولم يفتنوهم فيه بل أباح لهم ذلك كما أباح لهم الإقساط (لا ينهاكم الله ... الاية) ولكنه ينهي المسلمين عن أن يتولوا من قاتلهم في الدين وأخرجهم من ديارهم وأرضهم أو ساعد وناصر من يقاتل ويخرج المسلمين من أرضهم وديارهم (إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم ... الآية) .

* * *

ولابد للمسلمين اليوم من دراسة المواقف التي تحركوا فيها باسم الجهاد الإسلامي وبمفهوم القرآن الكريم حتى يصححوا مواقفهم ويعرفوا من أين يأتي تداخل النفوذ الأجنبي لسرقة جهادهم وانتصارهم فقد قدم الجزائريون مليونا من الشهداء ثم سرقت الثورة عشية الاستقلال وأمضت هذه السنوات الطوال في سبيل تصحيح الطريق إلى الوجهه الصحيحة ، وكذلك فعلت (فتح) حتى جاء هذا الجيل (حماس) الذي يؤمن بأن فلسطين قضية إسلامية .

ومازال مؤامرة الصهيونية في وجه فلسطين والقدس ومن ورائها مخطط يرمي إلى إقامة إمبراطورية كبرى من النيل إلى الفرات .

وليس من طريق في سبيل استعادة بيت المقدس إلا بالجهاد ، يقول اللواء محمود شيت خطاب : إن العرب يريدون أن يستعيدوا الأرض المقدسة فى فلسطين ويريدون أن يدافعوا عن حقوق المسملين المغتصبة في

كثير من أرجاء العالم ولن يستطيعوا ذلك إلا بالجهاد الإسلامي وهذا الجهاد غير وارد في العقيدتين العسكريتين الشرقية والغربية .

والسؤال هو : لماذا طال الزمن حتى بلغ نصف قرن وسنوات خمساً ولم تتحرر فلسطين مع أن المسلمين في حالة مخاض دائم فهم يلدون الجيل بعد الجيل دون أن يقطعوا العهد على أنفسهم وأبنائهم بإنقاذ الأقصى الأسير ؟

لابد أن هناك خللاً موضوعياً تسبب في تعطيل المسيرة ، لقد اختفى الجهاد منذ اختفت الهوية الإسلامية الصحيحة فلم يعد العرب والمسلمون يعتمدون على منابع عقيدتهم وتعاليم شريعتهم قدر اعتمادهم على معسكرات الشرق والغرب ولا مخرج إلا الجهاد .

[إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة] لقد تناسى المسلمون تلك الصيحات وباتوا في أمن كاذب وتحول سيف الجهاد في أيديهم إلى عصا بينما تحول في أيدي أعدائهم إلى قنابل ذرية وهيدروجينية .

لقد سقطت القدس منذ ثمانية عشر عاماً والمقاومة الجهادية تمثل أقرب الطرق وأصدقها للوصول إلى حل صحيح وعادل وظاهرة الفداء العربية تعتبر نقطة مضيئة على الطريق .

الحل الإسلامي هو الطريق الوحيد وإن تكاتف المسلمين هو الحل للخروج من هذه الأزمات .

إن الوضع الراهن الذي يعيشه المسلمون لا يساعد على الحل الجذري فالمسلمون يحتاجون أولاً إلى تطبيق المنهج الإسلامي على

أنفسهم كدول وعالم .

إن الإسلام هو الطريق الوحيد الذي يغير حال الأمة مما هى عليه إلى ما تصبوا إليه .

* * *

ما هى العقيدة العسكرية الإسلامية ؟

يقول اللواء جمال الدين محفوظ : للمسلمين عقيدتهم العسكرية الخاصة التي ترتكز أصولها على : وحى منزل ، وسنة معصومة ، وتجربة إنسانية قاد لوائها الرسول الكريم (ﷺ) وصحابته وحققت التمكين لدولة الإسلام من المحيط إلى المحيط .

وقد أحرزت أمة الإسلام عبر تاريخها الطويل انتصارات عديدة حاقت بها هزائم متكررة ، إلا أن التاريخ يشهد دائماً على أن انتصار المسلمين كان قرين ارتباطهم بعقيدتهم الإسلامية وأن هزائمهم كانت في البعد عن هذه العقيدة أو الجهل بها أو الجنوح إلى غيرها .

ومن هنا وجب الانتصار للعقيدة العسكرية الإسلامية والالتزام بها في القوات المسلحة جيوشاً ومعاهد ومؤسسات وكليات عسكرية مع دراسة أصول وأسس هذه العقيدة ووضعها في ثوب معاصر يحبب الجيل المسلم إليها .

والعقيدة العسكرية الإسلامية عمادها الجهاد في سبيل الله باعتباره جوهر العقيدة وإقرار وتطبيق مثالية وعدل الحروب الإسلامية وتقوم النظرية الاستراتيجية للحرب في الإسلام على أساس قاعدة قوامها : الردع الدفاعي - الردع الهجومي ، المباشر ، المحدود ، الشامل وتمثل

خصائص استراتيجية الردع في الإسلام أو في وسائل التوفيق بين الغاية والوسيلة إذا ما قورنت بغيرها من الإستراتيجيات الوضعية .

* * *

ويقرر اللواء محفوظ أن المحافظة على الشخصية المستقلة هو أساس بناء الأمة الإسلامية وأن هذه المهمة كانت أولى مهمام المجتمع الإسلامي في المدينة .

ذلك الحرص على ألا ينوب المسلمون في المحيط المشرك اليهودي فكان يتبع خطواتهم وتصرفاتهم بالتعديل وينقلهم شيئاً فشيئاً إلى معالم الشخصية الجديدة للمجتمع الإسلامي وتخلصيهم من آثار الجاهلية أو اليهودية سواء في العبادة أو في مظاهر الحياة الأخرى وقد حث الإسلام المسلمين على مخالفة اليهود مع التحذير من تقليد الغير جملة ، حتى لا يفقد المسلمون شخصيتهم المميزة لهم وهو ما عبر عنه الرسول ﷺ :

(من تشبه بقوم فهو منهم)

ذلك أن شخصية الأمة بأوضاعها وتقاليدها هو أمر خاص بها أما العلم فإنه تراث الإنسانية كلها فالذي ينهي عنه الإسلام هو تقليد الأمم في ثقافتها وتقاليدها والنوبان فيها ، لكنه لا يمنع المسلمين من الإفادة مما لدى الغير من علم وتقدم وصناعة .

* * *

ومن هنا فنحن في حاجة إلى تحريك فريضة الجهاد والعمل على دحض فكرة أن الإسلام يدعو إلى الحرب الدينية من خلال الجهاد فالإسلام لا يجعل الجهاد في سبيل الله سبيلاً لإدخال الناس في الإسلام

ولا سبيلاً لقهر القلوب على قبول الدين الجديد .

فهو يقرر أن لا إكراه في الدين

ولكن الجهاد هو عملية تعبئة في مواجهة الأخطار التي يتعرض لها العالم الإسلامي بما يسمى اليوم (القدرة على الردع) وهى ترمي إلى أن يكون المسلمون في رباط دائم واستنفار مستمر ويقظة لا تعرف الاسترخاء حيث لا أمن ولا أمان لهذا الوطن الإسلامي إلا في ظل الإعداد والمرابطة في الثغور .

وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا المعنى فى قوله (ستفتح عليكم بعدي مصر وهم خير أجناد الأرض لأنهم في رباط إلى يوم القيامة) .

وهذا هو السر في محاولات النفوذ الأجنبي لتدمير هذه القوى وزرع روح التحلل والترف والفساد في القلوب حتى لا تتكون هذه القاعدة وبذلك يصبح الطريق مفتوحاً أمام سيطرة الغزاة وأطماع أصحاب امبراطورية الربا .

ومن هنا وجب أن يكون المسلمون دائماً على تعبئة ، وعناصر التعبئة هي الجنود ، والقائد ، والفكرة ، والمبدأ . ولقد كان سبيل النجاة للمسلمين خلال أربعة عشر قرناً هو سلوك خط الجهاد فالمسلمون لا تنقصهم الكفاءات المؤهلة لخوض معركة البناء والنصر ، وشرط النصر الطاعة والقائد الكفء والكلمة المجتمعة والتضحية والتقوى والمثابرة بعد الوصول إلى الهدف .

وليس منطق الجهاد هو منطق الإرهاب أو البغي أو الترويع بل هو منطق الدفاع عن الحقوق الأساسية التي منحها الله تبارك الله للبشر .

أما فرض السيطرة بالقوة على أراضي الغير وترويع أهل الأوطان فهو منطق مؤقت في المدى القصير فمهما كانت الجماهير العزلاء لا تملك من السلاح فإنها إذا اتجهت إلى الجهاد فتح الله لها آفاق النصر وتجربة أفغانستان والجزائر والحجارة كلها تشهد بذلك .

وعبرة التاريخ تقول أن الله أكبر من كل قوة ومن استعز به نصره ، وأن النصر في النهاية يعقد لواءه لمن يرفعون راية الحق المشروع . ومصير الحق أن يعلو وإن تأخر امتحاناً للعزائم ، ومصير البغي أن يسقط مهما ظن أصحابه أنهم امتلكوا نواصي الأمور .

ولابد أن تعي الأمة الإسلامية فكرة الاستنفار العام لنصره المظلومين والرد على ما يدبر لأهليهم من مؤامرات .

وإن من يراجع تجربة الحروب الصليبية ويحاول أن يقارنها بالغزوة الصهيونية الممتدة منذ أربعين عاماً على قلب عالم الإسلام والمسيطرة على بيت المقدس يجد أن المسلمين قد أفادوا من الحروب الصليبية كثيراً وأنهم يعدون إليهم أكثر قدرة على المواجهة وتكشف الخطوات التي تمت حتى الآن عن أن عوالم الإصرار على المقاومة واستعادة الأرض المغتصبة تتصاعد يوماً بعد يوم بالرغم من عوامل التآمر التي ترمي إلى توهين قوتهم وفرض الأمر الواقع والاستسلام أمام المغريات ، والواقع أن ظاهرة (المد الإسلامي) التي تهز العالم الغربي اليوم هزاً إنما هي ثمرة حقيقة من ثمار ذلك التحول الخطير من النفوذ الاستعماري الغربي الذي يرمي إلى إقامة رأس جسر في قلب الوطن الإسلامي في محاولة لاستبقاء وجوده وسلطانه فترة أطول من خلال فرض مفاهيم مضللة على المسلمين أنفسهم سواء في مفهوم الحرب أو في مفهوم التاريخ أو في مفهوم الحضارة .

وما استطاع المسلمون على مدى تاريخهم الطويل أن يحرروا وجودهم ويهزموا عدوهم إلا بالمفاهيم القرآنية الإسلامية الأصيلة ، بمفهوم الجهاد والاعتصام بحبل الله تبارك وتعالى والتسلح بالعقيدة ، أما الأساليب المختلفة في المحاولات السياسية وفي داخل لعبة الأمم فلا سبيل إلى تحقيق شئ ذي بال ، ولذلك فلا بد من أسلمة المعركة ، فإن قضية تحرير بيت المقدس وما حوله من فلسطين (مسرى رسول الله ﷺ والقبلة الأولى) هى قضية إسلامية بالدرجة الأولى لأن أرض فلسطين هى أرض الرسالات وهي قضية المسلمين في كل بقاع الأرض ، وقد جربوا خلال أربعين عاماً أسلوب لعبة الأمم ولم يحققوا شيئاً فلابد من إعادة الأمر إلى الهوية الإسلامية وأن يقر العالم الإسلامي كله بمسئوليته نحو تحرير هذه الأرض المغتصبة .

يقول الدكتور فاروق عبد السلام:

إن انتصار المسلمين في جميع معاركهم منذ بعث الله نبيه (ﷺ لم يكن بكثرة الرجال ولا بتفوق السلاح وإنما بصلاح الرجال وحسن إيمانهم وبتركهم المعاصي .

يقول الصدين أبو بكر للجيش : [آمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم ، فإن ذنوب الجيش أخوف عليكم من عدوكم وإنما ينتصر المسلمون بمعصية عدوهم ولولا ذلك لم يكن لهم بهم قوة لأن عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم ، فإذا استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة] .

إن قادة الكفاح الفلسطيني من العلمانيين كلما سئلوا عما يعترض كفاحهم ولماذا حبس الله النصر عنهم حتى الآن ؟ عللوا ذلك ونسبوه لفارق

السلاح ووقوف الدول الكبرى بجانب العدو وتخاذل كبار العرب والمسلمين عن مؤازرتهم ورفض دول المواجهة السماح للفدائيين الفلسطينيين بالعمل ، قالوا هذا وغفلوا عن واحدة : لا يريدون الإقرار أو الاعتراف بها وهى (إسلامية الكفاح) فهم على اختلاف منظماتهم يرفعون الشعارات المذهبية لا الإسلامية فهوية كفاحهم إما قومية أو بعثية أو إشتراكية أو علمانية أو شيوعية أو ماركسية مع أن عدوهم يعلنها عليهم حرباً دينية يهودية صهيونية توراتية توسعية من النيل إلى الفرات .

ويرفع قائدهم يده بعلامة النصر ويضع يده في يد الحزب الشيوعي الفلسطيني .

مع أن النصر من عند الله تبارك وتعالى .

لقد ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وتخلت عنهم جميع الأنظمة الحاكمة ، فلم يعد أمامهم منفذ إلى وطنهم سوى هذا الشريط الضيق عبر حدود لبنان .

فعليهم أن يعلونها حرباً دينية مقدسة إسلامية المنهج والهوية فتقاتل في سبيل الله على كتاب الله وسنة رسوله وليتخذ من إخوانه الأفغان أسوة ومثلاً فلا أحد يكبر على التضحية ، إن أرض فلسطين لن يحررها إلا جيش مؤمن موحد ، والقدس يفتحها والمسجد يدخله بإذن الله أصحاب الأيدي المتوضئة والدم الطاهر تحت رايات إسلامية محمدية لا بعثية ولا قومية ولا اشتراكية ولا شيوعية وإنما إسلامية لا شرقية ولا غربية .

* * *

ولاريب أن سيطرة الصهيونية اليوم على الوجود السياسي العام باتفاقها مع القوتين هو أخطر امتحان تواجهه الأمة الإسلامية خلال الأربعين سنة الأخيرة والمؤثر الحقيقي لمختلف القضايا والوجهات والتحركات .

غير أن انطلاق الجماعة الإسلامية (حماس) التي حملت لواء الانتفاضة يمثل خطوة جديدة لها آثارها في الاتجاه إلى الطريق الصحيح .

وتعلق الصحف الغربية على هذا الحدث ، وأشارت الهيرالدتريبيون إلى أنه انتصار للأصولية الإسلامية يمتد إلى لبنان والأردن والضفة الغربية وقطاع غزة ، مما أدى إلى قيام تنظيم إسلامي فلسطيني يرفع شعار الجهاد بعد عدة عمليات عنيفة جداً ويلاحظ المحللون أن الصحوة الإسلامية قد أثمرت (فكرة الجهاد) وهو جهاد ليس مقصوراً على المسلمين إذ يدخل فيهم المسيحيون والفلسطينيون الذي احتضنتهم الصحوة الإسلامية وانصهرت مشاعرهم معاً في هدف واحد هو تحرير الأرض والإرادة . ومن الواضح أن هذه الظاهرة قد بدأت تحدث أثراً في التنظيم السياسي الفلسطيني حيث قال أبو إياد (صلاح خلف) أخيراً :

تعلمنا الجهاد من الإسلاميين ، لقد عرفنا الإسلاميين على حقيقتهم من أفواج المقاتلين من الإخوان المسلمين عام ١٩٤٨ فهم الذين أشعرونا أن الواحد منهم يكون خطيباً اليوم شهيداً غداً فمنهم تعلمنا الجهاد في (فتح) نعم من هؤلاء الرجال .

وقال : إن الإسلاميين قد بدأوا القتال بالفعل في الأرض المحتلة وبرزوا أكثر بعد عام ١٩٨٢ وهم موجودون في الأرض المحتلة وفي جنوب

لبنان سواء كانوا سنة أو شيعة دون دعاية ومعهم الفلسطينيون من فتح وقد ساعدنا الإسلاميون واعتبرنا شهداءهم من شهداء الثورة الإسلامية وكثير من العمليات التي أطلق عليها (انتحارية) قام بها الإسلاميون في مختلف الانتماءات .

إن المقاتلين أثناء معارك بيروت واجهوا العدو بصرخة (الله أكبر) ولولا هذا الإيمان لما استطعنا الصمود -حتى الآن - ثلاثة أعوام .

* * *

وهنا تأتي عبرة أفغانستان لتضع أمام المسلمين صورة كاملة للموقف الذي مازال مستمراً ، فقد بدأ المسلمون والعرب كفاحهم ونضالهم في وجه النفوذ الاستعماري خلال أكثر من قرنين من الزمان ، منذ احتلال الهند الإسلامية ، وأرخبيل الملايو ، ثم احتلال الجزائر ومصر والبلاد العربية واستطاع المسلمون والعرب أن يقاوموا أحياناً بالأجساد المتراصة ، وكان الإسلام هو الذي أعطاهم القوة والصمود وتوالت في الفترة الأخيرة صور الجهاد :

في فلسطين والجزائر وحرب رمضان ثم معركة أفغانستان التي لا تزال مشتعلة .

وقدم المجاهدون في أفغانستان بصبرهم وثباتهم وانتصارهم في تلك الحرب الطويلة دليلاً جديداً على أصالة المبادئ العسكرية الإسلامية في أن الرجال قد يسقطون شهداء ولكن الروح المعنوية وإرادة القتال في سبيل الله تبارك وتعالى غير قابلة للسقوط وأن المجاهدين الصادقين لا يقهرون .

وعلى الأمة الإسلامية التي تواجه من التحديات أقسى ما يمكن أن تواجهه أمة ، أن تتدبر هذا الدرس الذي سجله التاريخ الأفغاني على صفحات التاريخ وأن تتأمل بكل الوعي منابع تلك الإرادة القتالية الفذة للمجاهدين ، حيث لم يكن غرضهم من جهادهم غرضاً مادياً أو حظاً دنيوياً ولم يكن اغتصاباً لحق أو عدواناً على أحد وإنما كان غرضهم هو إعلاء كلمة الله تبارك وتعالى ضد تيار الإلحاد الذي يريد أن يزحف إلى بلادهم ويتخذ منها معبراً إلى بلاد الإسلام في آسيا فواجهوا هذا العدو بكل الشجاعة والصمود والاستبسال فربح بيعهم بمقتضى عقد الإيمان :

(إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة)

ووضع كل مجاهد منهم نصب عينيه أحد أمرين : إما شرف النصر أو شرف الاستشهاد .

(فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً)

ولقد تأملوا في المقابلة بين (يقتل) و (يغلب) فأدركوا مغزاها الرفيع وهو أن المجاهد المؤمن لا يغلب أبداً (أي لا يقهر) وذلك لأنه ينتظر إحدى الحسنيين ، وفهموا أن المقاتل المجاهد لا يكف عن قتال العدو حتى يكتب له النصر فإذا لم يتحقق فالمعركة مستمرة ما لم تزهق روحه ويقع سلاحه .

ولقد كان حجم التحدي الذي واجهه المجاهدون في أفغانستان هائلاً ، فالعدو المعتدي متفوق تفوقاً ساحقاً ، ووجد المجاهدون الأفغان في الميدان وحدهم بل أن قواتهم المسلحة وقفت فى وجه العدو الخارجي

المعتدي فأصبحوا يواجهون أكثر من عدو ، ومع ذلك استمسك المجاهدون بعناصر القوة في الجهاد (بالثبات والصبر وقوة الاحتمال)

(يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون) .

فقدروا المشقة قبل أن يقدروا الانتصار .

واعتبر المجاهدون بأحداث التاريخ فقد امتحن المؤمنون وامتحن أنبياء الله فكانوا بإيمانهم أقوى من الأحداث التي واجهتهم وهكذا نجح المجاهدون في فرض حالة من التشتت والتمزق النفسي وخيبة لأمل على أعدائهم اضطرتهم في النهاية إلى الانسحاب بعد أن أصيبت قواتهم بالشكل الذي أثر في قدراتهم القتالية .

ومن هنا كان عظم التضحية التي قدمها المسلمون حين قدموا مليوناً من الشهداء عربونا للجلاء عن أفغانستان .

وستظل تجربة الجهاد في أفغانستان نبراساً أمام المسلمين وقوة على الانطلاق لتحرير المسجد الأقصى واستعادة فلسطين .

* * *

ولما كان الجهاد ذروة سنام الإسلام كما قال الصادق المصدوق فقد تركزت حملة ضخمة لمهاجمته وتأويله ، وقامت البهائية والقاديانية بالدور الأكبر في هذا المجال حتى جاء من يقول : إن الجهاد الأكبر هو جهاد النفس ، يقول الإمام الشهيد حسن البنا :

شاع بين كثير من المسلمين أن قتال العدو هو الجهاد الأصغر وأن هناك جهاداً أكبر هو جهاد النفس وكثير منهم يستدل لذلك بما يروى

[رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر قالوا وما الجهاد الأكبر قال جهاد القلب أو جهاد النفس] وبعضهم يحاول أن يصرف الناس عن أهمية القتال والاستعداد ونية الجهاد والأخذ في سبيله فأما هذا الأثر فليس بحديث على الصحيح قال أمير المؤمنين في الحديث الحافظ بن حجر في تسديد القوس : هو مشهور على الألسنة وهو من كلام إبراهيم عيلة ، وقال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء : رواه البيهقي بسند ضعيف عن جابر ورواه الخطيب في تاريخه عن جابر ، على أنه لوصح فليس يعطي أبداً الانصراف عن الجهاد والاستعداد لإنقاذ بلاد المسلمين ورد عادية أهل الكفر عنها ، وإنما يكون معناه وجوب مجاهدة النفس حتى تخلص في كل عملها فليعلم وهناك أمور تلحق بالجهاد منها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

فقد جاء في الحديث (إن من أعظم الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر) .

ولكن شيئاً منها لا يوجب لصاحبه الشهادة الكبرى وثواب المجاهدين إلا أن يقتل في سبيل الله .

إن الأمة التي تحسن صناعة الموت وتعرف كيف تموت الموتة الشريفة يحبب الله لها الحياة العزيزة في الدنيا والنعيم الخالد في الآخرة وما الوهم الذي أذلنا إلا حب الدنيا وكراهية الموت فأعدوا أنفسكم لعمل عظيم واحرصوا على الموت توهب لكم الحياة .

واعلموا أن الموت لابد منه وأنه لن يكون إلا مرة واحدة ، فإن جعلتموها في سبيل الله كان ذلك ربح الدنيا وثواب الآخرة وما يصيبكم إلا ما كتب الله لكم ، وتدبروا أخيراً قول الله تبارك وتعالى :

(ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمـر شيء قل إن الأمر كله لله ، يخـفـون في أنفسـهم مـا لا يبـدون لك ويقـولون لو كان لنا من الأمر شيء مـا قتلنا هاهنا قل لو كنتم في بيـوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ، وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور) آل عمران .

فاعملوا للموتة الكريمة تظفروا بالسعادة الكاملة ، رزقنا الله وإياكم كرامة الاستشهاد في سبيله .

الفصل الثامن

الدعوة الإسلامية

أنور الجندى

بيت الحكمة - ص . ب (٥ ١٣٤١١) شبرا الخيمة / مصر - ت. وفاكس : ٢٢٠٧١٢٤

جاءت صيحة الدعوة الإسلامية بعد أن غلب اليأس على الأجيال الجديدة من عجز القوى السياسية وفشل أسلوب النظم الوافدة وكشفت التجربة عن خيبة الأمل وسرعان ما استجابت المشاعر للكلمة المؤمنة واجتمعت حولها وتعلقت بها النفوس لأنها اعتمدت على التماس طريق الله والانطلاق من نفس المنطلق الذي بدأ منه رسول الله ﷺ وهو تربية الشباب على الإيمان بالله والتضحية في سبيله والإيمان بالإسلام منهج حياة ونظام مجتمع ، وسرعان ما انفضت العناصر من حول أساليب الحزبية المتصارعة التي كانت تتقاتل على المطامع الداخلية ولم تكن تواجه النفوذ الأجنبي بل كانت وهي تدعو إلى الحرية السياسية تخضع خضوعات تاماً لأسلوب العيش الغربي وتعلى من شأنه وتقف من المنهج الغربي في السياسة والاجتماع والاقتصاد موقف الإعجاب والتأييد .

واستفاضت أشواق الأمة عن طريق الدعوة الإسلامية في استشراف للمنطلق الصحيح لامتلاك الإرادة وقيام المجتمع الرباني وتطبيق منهج الله وشرعه في المعاملات والأخلاق .

وكان من أكبر ما أعطت الدعوة الإسلامية أن حررت القيم وصححت المفاهيم وعززت المنهج الإسلامي القائم على التوحيد الخالص والترابط بين الدين والدولة ، والعقل والقلب ، والروح ، والمادة والدنيا والأخرة .

وعملت الدعوة الإسلامية في مجالات عديدة :

أولاً : تربية جيل جديد يحمل مفهوم الإسلام دين ودولة ويؤمن بفريضة الجهاد في سبيل تحرير الأرض وإقامة المجتمع الرباني .

ثانياً : تصحيح العقيدة الإسلامية وإقامتها على الأصل الأصيل بعيداً عن مفاهيم الاعتزال وعلم الكلام والتصوف الفلسفي .

ثالثاً : العودة إلى المنابع ومعارضة منهج الحضارة الغربية وإسقاط دعواها في الإباحة والتحلل والفساد الخلقي .

رابعاً : معارضة القانون الوضعي والاقتصاد الربوي وأدوات الترفيه المنحرفة وإعادة المرأة المسلمة إلى رسالتها الأصيلة .

وقد حفلت المرحلة التالية باقتحام معركة المواجهة مع الصهيونية في فلسطين ومع الاستعمار البريطاني في القنال وكشفت الدعوة عن قدرتها واستبسالها في التضحية بالنفس والمال في سبيل الله تبارك الله تعالى .

ومن أعظم ماحققته الدعوة الإسلامية أنها فتحت الطريق إلى تحرير الفكر الإسلامي من أخطار التغريب وشبهات الاستشراق والكشف عن المخططات التي ترمى إلى احتواء المفهوم الأصيل بهدف تدميره وتزييفه بغرض مفاهيم وافدة عليه تحول بينه وبين الأصالة الحقيقية .

قدمت الدعوة النظام الإسلامي الجامع الذي لايقبل التجزئة بكل مظاهره من حيث المثل العليا الاجتماعية أولاً ، ثم من حيث أوضاعه العملية التي تحل كل مشاكل الحياة الاقتصادية والاجتماعية وجاء الامتحان لصيحة الجهاد فأثبت صدق ماعاهد رجال الدعوة الله عليه وقدموا الشهداء .

وقد كانت هذه الدعوة في تقدير المخلصين هي مظهر إرادة الله تبارك وتعالى النافذة وقدرته الغالبة وأنها في هذه المرحلة بمثابة القوة الوحيدة الصامدة أمام الخطرين الداهمين اللذين يهددان العالم الإسلامي

وهما خطر الإلحاد وخطر الاستعباد : « هذه المادية الطاغية الجارفة التي استولت على تفكير وتصرفات الدول الكبرى فجعلتها لاتزن الأمور إلا بميزان المنافع والمصالح الشخصية والاستعمارية ولاتقيم وزناً لماعدا ذلك من المثل العليا وقواعد الخير والإنصاف والسمو ، ودفعت بها بعد ذلك إلى التحايل على أن تبقى قيود العبودية في أعناق وأيدي وأرجل الشعوب الناشئة التي لاترضى أبداً بغير الحرية والتقدم ، هذه المادية التي تقودها اليهودية العالمية وتمولها الدول الاستعمارية ولاعلاج لها إلا في الدعوة الإسلامية ولاقوة تصمد أمامها الآن مع الأسف إلا هذه الجماعة » .

فقد كانت كل النذر توحي بتعرض هذه الدعوة لاقسى الامتحان وأشد الاختبار وكان على أصحاب الدعوة الصمود في وجه المحنة حتى تنجلي ومن ثم يتسلمون راية الحضارة الإنسانية ليسعدوا البشرية ويحرروها بعد أن فشل الغرب وتخبط ، ولما كانت الدنيا قد وصلت إلى مرحلة الحيرة واللهو والضلال فإن الدعوة الإسلامية وحدها هي القادرة على أن تحقق لها أملها والله غالب على أمره .

أولاً : أزاحت الدعوة ذلك التصور الظالم للإسلام وكأنه دين لاهوتي قاصر على العلاقة بين الله والإنسان وذلك بحجب مفهومه الجامع في نظام الإسلام في السياسة والاجتماع والاقتصاد والتربية وبذلك سقطت عن الفكر الإسلامي سيطرة الأيدلوجيات الغربية سواء الرأسمالية أو الماركسية .

ثانياً : فتحت الدعوة العيون والقلوب إلى مجموعة من الحقائق صاغت أسلوب الأمة على المدى الطويل في مقدمتها أن منهج الغرب في تقبل أسلوب العيش الغربي منهج باطل وزائف وقد كشفت الأحداث من

بعد عن فشل تجارب الليبرالية والماركسية والقومية والعلمانية التي حاول النفوذ الغربي تسيدها وحذرت الدعوة المسلمين من تقبل كل مايقدمه لها الغرب من مناهج وفلسفات .

ثالثاً : جمعت الناس بعد فرقة عاتية سببها اختلاف أساليب التعليم والثقافة بين المناهج الفرنسية والإنجليزية وغيرها ، وجمعها على وحدة فكر وعلى إيمان أكيد بحتمية الحل الإسلامي والمنهج الرباني .

رابعاً : حررت الشعور العربي الإسلامي من القومية بمفهوم العصبية والعنصرية والدم وإدراجها في حلقات مرتبطة بالإسلام غير منفصلة عنه .

ولقد اتسع نطاق الدعوة الإسلامية اليوم وتمثلت مفاهيمها في عديد من المنظمات ، يبدو ذلك واضحاً في مقررات هذه المؤتمرات التي درست أنظمة التربية والتعليم والاقتصاد والإعلام وغيرها وقد أعلن المجلس العالمي للدعوة الإسلامية في الخرطوم :

« سقطت كل الأيدلوجيات وبقى الإسلام »

ويقرر :

أولاً : التصدي لمن يحاولون النيل من الإسلام والحط من شأنه وتصويره على غير حقيقته وهو عمل طويل النفس على جانب لايستهان به من الدقة والخطورة ، ولابد لمن ينتصب له أن يسير على هدى القرآن في مجال الدعوة ومن تعزيز القول بالفعل وسلوك سبيل العقل .

(ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين) .

ثانياً : التعريف بالقرآن الكريم والعمل على نشر تعاليمه وتشجيع حفظه وترجمة معانيه إلى جميع اللغات وتفسيره تفسيراً صحيحاً يتوافق مع القاعدة الثابتة وهي : أن الإسلام دين الله الذي يصلح لكل زمان ومكان .

ثالثاً : التعريف بالسنة النبوية .

رابعاً : عرض مبادئ الإسلام عرضاً شاملاً وميسراً بعيداً عن المفاهيم المشوهة والجدليات المذهبية والفلسفية والتأويلات الغريبة عن جوهرة .

خامساً : الاهتمام باللغة العربية .

سادساً : رسالة الإسلام دعوة لإنقاذ العالم الإسلامي مرة أخرى بعد أن سقط في براثن الوثنية والمادية والانهيار الخلقي .

وحماية نظام الأسرة في الإسلام الذي لم يسبقه سابق ولم يلحقه لاحق إلى الآن فقد أعطى الإسلام المرأة إرادة تزويج نفسها والولاية الكاملة عليها .

سابعاً : تذكير المسلمين بواجب الجهاد ومحاربة الاستعباد والاستقلال في المجتمعات الإسلامية وتعديل التشريعات وبرامج التعليم بما يتفق مع القرآن الكريم ومبادئ الإسلام السمحة .

ثامناً : توعية الجماهير الإسلامية بالخطر المحدق بالعالم الإسلامي وعلى ضرورة مواجهة هذا الخطر بالجهاد دفاعاً عن الديار والمقدسات الإسلامية .

تاسعاً : الاهتمام بالإعلام الإسلامي بتدعيمه ومواجهة التعتيم الإعلامي على القضايا الإسلامية والتشويه والتزييف الذي يمارسه الإعلام الغربي والصهيوني الحاقد .

عاشراً : تأكيد حق الشعب الفلسطيني في تحرير أرضه من الاحتلال الصهيوني وإبراز أن الخطر الصهيوني موجه إلى كل المسلمين دون استثناء .

كذلك فإننا نجد على سبيل المثال أن مؤتمر الحضارة الإسلامية في الأردن ينعقد تحت عنوان (العودة إلى الإسلام) .

ويقرر :

أولاً : بحث أحوال المسلمين من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية وكيفية إقامة المجتمع المسلم وماهي وسائلنا في ذلك .

ثانياً : مثلاً تجربة البنوك الإسلامية التي انتشرت بنجاح وتواجه حرباً عنيفة من البنوك العالمية والإشاعات المثارة حولها بهدف تدميرها والقضاء على الفكرة من أساسها .

ثالثاً : تجربة الزكاة ومدى قدرتها على الوفاء بكل احتياجات الدولة في العصر الحديث وماهي وجوه إنفاقها وهل يمكن أن توزع على فئات وأغراض أخرى غير التي حددها الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم .

رابعاً : ماهي العقبات التي صادفت بعض الدول الإسلامية عندما حاولت تطبيقها مثل باكستان .

وماهي الوسيلة لسد العجز المالي للدولة إذا اقتصر تحصيل المال

على الزكاة فقط ، وهل يجوز خصمها من الضرائب أو أن الضرائب تقوم مقام الزكاة :

(إن الزكاة أمر إلهي مقدس ولابد من الوفاء به)

ويرى بعض العلماء أن الزكاة لاتستأصل الفقر ولابد من الضرائب والبعض يرى أن كثرة الضرائب تجعل رأس المال الخاص يحجم عن الاستثمارات ويبحث عن تنمية أفضل في مكان آخر .

قال الشيخ محمد الغزالي : إن تنحية المسلمين عن قيادة الدنيا خلال القرون الثلاثة الأخيرة كانت عقاباً إلهياً وكانت تطبيقاً لسنة كونية جارية بعد أن تخلى المسلمون عما فضلهم الله تبارك وتعالى به على الناس وساد بينهم فكر مغشوش وأنهم لو استمروا في قيادة الدنيا خلال تلك القرون لما قدموا شيئاً يذكر للإنسانية .

إن محور الحوار في الموقف هو التغير الاجتماعي .

وإن دعاة الإسلام يركزون دعوتهم على قضية واحدة هي العودة إلى الإسلام بينما يركز عامة العلماء أفكارهم على قضية التغيير من أجل تحقيق التنمية والقضاء على التخلف وأعينهم على ماتحققه الدول الصناعية من قفزات في جميع المجالات والواقع أن التغيير مطلوب في الاتجاهين :

وفي الغرب يتم التقدم بعيداً عن جانب الهداية الإسلامية أو الجانب العلمي ، المتصل بجوهر الحضارة ومطالب الإنسانية وفي الفكر الإسلامي لابد أن يتصل الجانبان والفرق بيننا وبين الغرب أنهم يدافعون عن حضارة ونحن ندافع عن عقيدة .

الفصل التاسع

الاقتصاد الإسلامي

أنور الجندي

بيت الحكمة - ص ب (٥ - ١٣٤١١) شبرا الخيمة / مصر - ت. وفاكس : ٢٢٠٧١٢٤

كان الاقتصاد الإسلامي واحتوائه والسيطرة عليه وتحويله من وجهته الإسلامية التي رسمها منهج الإسلام والذي عاشت عليه الأمة الإسلامية أكثر من ألف عام هو أكبر أهداف النفوذ الأجنبي من أجل السيطرة على مقدرات الأمة الإسلامية الضخمة الممثلة في الموارد والثمار والبحار والموانئ والمرافق وماتدخره الأرض في باطنها من بترول ومنجنيز وكوبلت وهو ماسيطرت عليه الدول الاستعمارية منذ أكثر من مائتي عام حين سيطرت على الهند ثم الجزائر ومصر وتونس (سنة ١٨٣٠ ومابعدها) .

ومن ثم تمزقت وجهه الاقتصاد الإسلامي بين الرأسمالية والماركسية وفرض عليها نظام الربا وسيطرت المصارف الأجنبية على موارد الدول الإسلامية حيث أغرت الدول وكبار الزراع والتجار بالقروض بأساليب خبيثة جعلتهم يقعون تحت طائلة المحاكم المختلطة التي انتزعت منهم أرضهم وممتلكاتهم .

وكان من نتيجة هذه السيطرة الاقتصادية الشاملة أن أصبح ٨٠ ٪ من المسلمين في العالم الإسلامي يقعون تحت حزام الفقر واستأثرت البنوك الغربية بثروات الأمم البترولية (٦٦ مليار دولار) بينما بلغت ديون العالم الإسلامي مايقرب من ٢٣٠ مليار دولار .

وقد كان من نتيجة ذلك أن أصبح العالم الإسلامي كله تحت سيطرة التبعية الاقتصادية والسياسية والعسكرية ومايتبعها من أنماط سلوكية بالنسبة للاستهلاك والإنتاج والاعتماد على الغير وقصور الإدارة الذاتية ومعنى هذا أن الكفاح الذى مارسته الدول الإسلامية للتحرر من النفوذ الأجنبي قد أفرغ من مضمونه بواسطة السيطرة الاقتصادية .

وهكذا استطاع النفوذ الغربي والاقتصاد الرأسمالي احتواء مصادرنا الاقتصادية واستنزاف مواردنا الطبيعة كالبترول وغيره ورافق ذلك هجرة العقول والخبرات والكفاءات ، هذا فضلاً عن سوء توزيع الثروة والدخل في داخل البلاد الإسلامية حيث يوجد تفاوت كبير بين الطبقات .

ولكن هل استطاع الاقتصاد الرأسمالي الغربي أن ينجح ؟ أو أن يحقق السعادة لمجتمعه أو المجتمع الذي يطبقه ؟ والإجابة : لا ثم لا وماتزال الأصوات تتعالى لتعلن عجزه عن تحقيق الرخاء ، كذلك الشأن بالنسبة للاقتصاد الماركسي الذي أثبت فشلاً ذريعاً ومن هنا فقد تنادى بعض العلماء بالدعوة إلى اقتصاد عالمي جديد خارج نطاق الأيدلوچيتين الرأسمالية والماركسية .

وأعلن كثير من الباحثين أن (الفائدة الربوية) هي أخطر مافي النظام الاقتصادي العالمي من مخاطر ، وقال العالم الاقتصادي كينز : إن أزمة العالم المعاصر تتمثل في الفائدة وإنه كلما خفضنا الفائدة قل التضخم ، حتى إذا وصلت الفائدة إلى صفر انتهى التضخم .

وصدق الله العظيم ﴿ يمحق الله الربا ويربي الصدقات ﴾ ، وقال ديستان في كتابه (الديمقراطية الفرنسية) :

إن الماركسية والليبرالية التقليدية نظريتان ناقصتان وتتنكران للحقيقة الإنسانية ، وإنهما تفلتان بسهولة من قبضة البحث العلمي ، وإن التحيز يغلب عليهما إلى اليوم أكثر من العقل ، وإنهما لم يعودا يمثلان الوقائع المحسوسة في مجتمعاتنا إلا تمثيلاً ضعيفاً ، وإنهما يتكيفان بصعوبة لإيجاد حلول لمشاكلنا الواقعة ، وإن الموقف الموضوعي يدعو إلى ترك هذه النظريات غير المتكاملة وإلى البحث عن صيغة جديدة مقبولة .

والمعروف أن الرأسمالية قامت أساساً في أحضان اليهود الذين قاموا بتمويل الثورة الصناعية وقام على أثرها المجتمع الأوربي الصناعي المادي على غير أساس من دين أو خلق ويرى البعض أن النظامين يمثلان شكلين من الرأسمالية : الأول يجمع المال في يد الأفراد مع حرية التصرف فيه (الرأسمالية) ، والثاني يجمع المال في يد الدولة مع حرية التصرف فيه .

ويقول ديبلسي : في كتابه حياة الحضارات وقوتها : إن الشيوعية بدلاً من أن تكون نقطة بداية هي في الواقع نقطة نهاية لنوع حضاري ولذلك كان الغرب لايتكلم إلا بالكلمة المرعبة : كلمة الأزمة ، فهي نوع من أنوا ع الازمات في القرنين ١٩ ، ٢٠ بدلاً من أن تكون ترياقاً أو علاجاً .

ويقرر كثير من الباحثين إن النزا ع بين الماركسية والرأسمالية حقيقة لامفر لكليهما من التسليم بها .

فالماركسية (بمفاهيم لينين وستالين) تعترف بأن بقاء الشيوعية وحياتها ستظل معرضه للخطر : خطر الفشل ثم الانحلال والدمار مالم يتحول العالم بأسره إلى الشيوعية عن طريق الثورة فهي بذلك حركة توسع من نوع مستحدث وخطير معاً .

والرأسمالية الغربية هى أيضاً توسع استعماري تقليدي من نوع مماثل على السواء ، إلا أن هذا التحدي السوفيتي وضع الرأسمالية الغربية في نفس الوضع الهجومي الذي تقف فيه روسيا السوفيتية .

ومن ناحية أخرى فإن الاقتصاد السياسي هو علم مستحدث لم يظهر خلال النصف الثاني من القرن ١٨ ، وهو خاص بالرأسمالية ولذلك كتب ماركس (نقد الاقتصاد السياسي) .

ولقد كان اليهود صناع الرأسمالية وصناع الماركسية :

فقد وضع آدم سميث (اليهودي) أصول النظام الرأسمالي وكان يعتقد أنه سيحقق العدالة وأن الأفراد سعداء لأنهم يسمونه المذهب الحر يعطي للفرد الحرية في أن يربح كيف يشاء وينتج كيف يشاء وينفق كيف يشاء .

ولكن نتج عن هذه الحرية وجود طبقة الرأسمالين ، هذه الطبقة التي اتجهت إلى رعاية مصالحها وانحت بالظلم والطغيان على طبقة الفقراء والعمال واستغلت جهود الفقراء والعمال في تحقيق ثروات الرأسماليين ومن هنا نشأت الماركسية لتحرير العامل وإعطائه حقه .

فهل استطاعت الماركسية تحقيق ذلك ؟ أم إنها تحولت إلى أرستقراطية القادة المسيطرين ؟

(٢) علم الاقتصاد الراهن ليس علماً : يقول الدكتور حسين غانم : تقدم النظرية الاقتصادية المعاصرة فروضها من النماذج الاحتلالية التي أقامها فلاسفة اليونان ونقلها من بعدهم المدرسيون في العصور الوسطى وكلها تقوم على فروض احتلالية تقيم الحياة على فكرة التناقض والصراع فالموارد الطبيعية نادرة ، والطبيعة عدو للإنسان لاهدف لها إلا تدميره والقضاء عليه والحياة كلها صراعات :

صراع ضد الطبيعة ، وصراع الإنسان ضد الإنسان ، وصراع من أجل البقاء ، وصراع بين طبقات المجتمع ، والعداء قائم بين الفرد والمجتمع ، فإما أن تغلب مصلحة الفرد على مصلحة المجموع أو أن تطغى مصلحة المجموع على مصلحة الفرد أما الإنسان فلا هم له ولاهدف سوى

إشباع غرائزه كالبهائم يجري وراء الطعام ويسعى إلى تحقيق أكبر لذة ممكنه .

وكان الفكر السوفسطائي يدعى أن القوانين الطبيعية أو الطبيعة تدعو إلى الإغراق في اللذة وتدعو الأقوياء إلى البطش بالضعفاء وجاء (هوبز) ليدعى أن الإنسان كذئب مفترس وردد الكتاب بعد ذلك الفكرة الداروينية عن الصراع من أجل البقاء ثم جاء كارل ماركس ليقيم عملية التطور الاجتماعي كلها على فكرة صراع الطبقات حول إشباع الحاجات والغرائز المادية ولايزال هذا النمط من التفكير الفلسفي المنحرف هو ذاته النمط الذى يسير عليه الغرب .

وهكذا تحول علم الإقتصاد وهو من العلوم الإنسانية السلوكية إلى علم أصم من علوم الجوامد كعلم الميكانيكا مثلاً وهو ليس كذلك في واقع الأمر والمعنى الحقيقي للاقتصاد هو التدبير والاعتدال والوسط وفي القرآن الكريم ﴿ واقصد في مشيك ﴾ أي لا تبطئ ولاتسرع في الخطى وكن عدلاً وسطاً (ومنهم مقتصد) والوسط بين الظالم لنفسه والسابق بالخيرات .

وحديث الرسول ﷺ (لاعال من اقتصد) أي أحسن التصرف في ماله :

« الاقتصاد في مفهوم الإسلام : الاعتدال والتدبير ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ﴾ وبالجملة فإن علم الاقتصاد الراهن ليس علماً من العلوم إذ يشوبه التميز وقصور النظرة إلى الكون والإنسان وعدم ربط الظاهرة الإقتصادية بغيرها من الظواهر الكونية التي يعتبرها من قبيل العوامل الخارجية لا الداخلية وعدم التحديد الدقيق

لمدلولات الألفاظ لمذاهبهم التي يتناولها الباحثون .

وقد أخفق علم الاقتصاد الراهن في التوصل إلى العله الحقيقية للأشياء :

١ – فشل في صياغة نظرية في القيمة الموضوعة وفي قياس تلك القيمة بمقياس ثابت بسبب تجاهله للسلع الحرة .

٢ – كان كارل ماركس متحيزاً ولم يكن على حق عندما اسقط قيمة وسائل الإنتاج التي تقدمها الطبيعة كالأرض والماء والرياح من حساب القيمة النهائية للسلعة المنتجة لكي ينتهي من تحيزه إلى أن كل القيمة يخلقها العمل .

٣ – كان كارل ماركس متحيزاً عندما وضع نصب عينيه نتيجة مسبقة وراح يتحايل لكي يثبت صحتها فقد أراد أن يثبت أن النظام الرأسمالي نظام فاسد يقوم على استغلال العمال .

ويقرر كثير من الباحثين :

أولاً : أن اليهود هم الذين وضعوا أساس النظامين الرأسمالي (آدم سميث) والماركسي (ماركس) فالنظامين من نتاج إمبراطورية الربا وعبادة العجل الذهبي .

ثانياً : عندما كانت الحضارة الإسلامية هي المهيمنة والمسيطرة لم يستطع اليهود أن يطلوا برأسهم في دنيا المال (الاقتصاد) إلا بعد أن فقد المسلمون سلطانهم وتفوقت عليهم أوربا ونجح اليهود في أن يصبحوا ملوك المال وأن يخضعوا الدنيا بما فيها العالم الإسلامي نفسه لسلطانهم (أحمد حسين) .

فعلى المسلمين أن يقودوا العالم إلى الاقتصاد الإسلامي وأن يحرروا البشرية من لعنه الاقتصاد اليهودي ، وأن يقدموا للعالم اقتصاداً إسلامياً مبرأ من الربا .

ولقد أقر الإسلام منهجاً اقتصادياً صالحاً لتأمين المجتمع الإنساني في نطاق العدل والرحمة ، وهو يتمثل في عنصرين أساسيين (إلغاء الربا وإقامة الزكاة) ويمكن تقديم تصور للاقتصاد الإسلامي في العناصر الآتية :

أولاً : الاقتصاد الإسلامي نظام ومنهج حياة يقدم الحلول لكل المشاكل الإنسانية : المادي منها والروحي وهو ماعجزت المناهج الوضعية عن تقديمه عندما طبقها العالم الثالث ليلحق بالركب الحضاري وينمي موارده .

ذلك أنها مناهج مادية متطرفة سواء الرأسمالية أو الشيوعية فقد أهملت الإنسان المقصود بالتنمية والفاعل لها .

والإسلام أمضى أكثر من أربعة عشر قرناً قبل أن تكون هناك رأسمالية أو اشتراكية حيث قدم نظاماً اقتصادياً جاهزاً لايحتاج سوى التطبيق ولما طبق كانت الأمة الإسلامية فوق الأمم جميعاً واحتل المسلمون مكان الصدارة ولما ابتعد المسلمون عن هذا النظام تخلفوا وتذيلوا قائمة العالم رغم الموارد الاقتصادية والبشرية .

والمخرج أمام الأمة الإسلامية اليوم من تخلفها الحضاري والاقتصادي هو أن تعود إلى هويتها الأصيلة : الهوية الإسلامية وبغير ذلك لن تقوم لها قائمة وستظل نهباً لكل من هب ودب شرقاً وغرباً .

وقـد طبق هـذا النظام بالفـعل وهـو يقـوم على عـدد من القـواعـد المحكمة .

١ – إن الإلوهية للخالق : حررت البشر من أي عبودية لغيره .

٢ – ركز على إعمار الأرض .

٣ – مفهوم العبادة بالمعنى الواسع .

العمل في الإسلام يعد مركزاً أساسياً وأصيلاً لدرجة أن العمل قُرِنَ بالإيمان في آيات عديدة من القرآن ، والعمل المقصود هو العمل الصالح الذي يتوخى فيه الإنسان أقصى كفاءة إنتاجية .

٤ – كل التكليفـات في هذا النظام حـدودها الاسـتطاعـة البـشرية ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ .

٥ – الأخـذ بالأسبـاب بقدر الإسـتطاعـة على أسـاس أن السمـاء لا تمطر ذهباً ولا فضة .

٦ – إن هذا النظام وضع ترتيباً دقيقاً للأولويات في شتى مكونات النشاط الاقتصادي .

(إنتاجياً وتوزيعياً واستهلاكياً)

وتتـقدم الأولويات الضـروريات التي يعمل النظام على توفيرها لكل فرد ليعيش في ظله والتى يرى الفقـهاء أنها مقاصد الشريعة من حفظ الدين والنفس والعقل والمال والعرض تليها المباحات ثم التحسينات وهي الأشياء التي لا يتصور وجود الحياة البشرية بدونها .

٧ - إن الحكم على الأفراد ليس بمالديهم من مال أو جاه وإنما بالتقوى ، والتقوى اقتصادياً هى مراعاة الخالق في السر والعلن .

٨ - إن المال مال الله ونحن مستخلفون فيه وتبعاً لذلك يسخر المال للمستخلفين ، مع أدائهم لحقوق الله (تبارك وتعالى) وأفراد المجتمع في حدود الزكاة والصدقات المفروضة .

٩ - التكامل الحقيقى بين أفراد المجتمع ليسود الحب والتناصر واللطف والأمن الحق .

* * *

والصيغة اللطيفة لهذا النظام هى التنمية الجادة والمستمرة التي تحقق الاستخدام الأكفأ للموارد .

وتتم عملية التنمية للإنسان العادي الذي يعمل في إطار من الأخلاق الإسلامية وقدوة هذا النظام هو الرسول ﷺ .

ولكي يضمن الإسلام قيام هذا الإنسان بواجبه في تنمية المجتمع والاقتصاد وتعمير الأرض وضع له أصلين : أن يكون حراً ، وألا يكون مستغلاً .

وتاريخ البشرية خير شاهد على ضرورة توافر هذين الأصلين لتحقيق التنمية الجادة والمستمرة .

ويؤكد الإسلام توافر الحرية مدخلاً لذلك وهو التوحيد وقد ضمن الإسلام الرزق لكافة الأفراد وجعله حقاً مثلما ينطقون ولكنه ربط الرزق المقدر بضرورة السعي في طلبه ومنها كان مركز العمل في النظام الاقتصادي في الإسلام ، وجاء الإسلام محارباً لكل صنوف الاستغلال

والمستغلين ، وحرم الإسلام بنصوص قاطعة من الكتاب والسنة (آفة الربا) .

بل إنها الكبيرة الوحيدة التي أعلن الخالق سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ حرباً على مقدمتها .

﴿ فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ﴾ .

وكما حرم الربا ، حرم كل أنواع الاستغلال من احتكار واكتناز وتدليس إلى آخر الممارسات الخاطئة في النشاط الاقتصادي وأقام نظاماً مالياً متكاملاً مركزه الزكاة والتكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع بحيث يؤدي إلى مزيد من التنمية .

وكذلك حض على الإنفاق الاستهلاكي والاستثماري والصدقي مع رقابة الفرد على نفسه ورقابته على أفراد المجتمع ورقابة المجتمع على الحكم ومن الخالق على المجتمع كله (دكتور / عبد الحميد الغزالي) .

* * *

٣ - وتختلف نظرة الإسلام إلى المال عن نظرة الأيدلوجيات الوضعية له - نسقها الرأسمالي والماركسي - فالنظام الرأسمالي يكفل جميع التسهيلات لأن تكون ملكية المال خاصة ومنفعته خاصة أيضاً ، في حين أن النظام الشيوعي يرى أن تكون الملكية عامة والمنفعة عامة والمنهجان يثبتان خطأهما فالرؤية الأولى تؤدي إلى تنمية المال بأي وسيلة وبأى هدف والرؤية الثانية تقتل الدافع الفردي للإنتاج .

أما الإسلام فقد كان وهو المنهج الرباني الأصيل أسبق من

الأيدلوجيات إلى وضع النظام الصحيح فجعل الملكية خاصة ، والمنفعة عامة وبذلك كسب خير ما في النظامين وأبعد شر ما فيهما .

والثروة في الإسلام للأمة كلها وليس لطبقة معينة على حساب طبقة أخرى (دكتور / عبد الصبور مرزوق) .

* * *

٤ – ويقرر الباحثون الإسلاميون في الاقتصاد أن الإسلام جاء بقواعد كلية عامة فيما يتعلق بالمسائل التي تتطور بتطور البيئة والمجتمع ، كذلك جاء بضوابط تفصيلية في المسائل التي لا تتطور بتطور البيئة والزمن (كالمواريث والعبادات وأحكام الأسرة) .

وضوابط الشريعة كلها تهدف إلى حماية الإنسان مما يتجاوز الطاقة البشرية أو يرهقها .

٢ – وللمنهج الاقتصادي الإسلامي ذاتية خاصة تتمثل في :

أولاً : الجمع بين الثبات والتطور أو خاصية الالتزام بأصول معينة وفتح باب الاجتهاد في التفاصيل وملائمة التطبيق .

ثانياً : الجمع بين المصلحتين الخاصة والعامة ، ومناط الاقتصاد الإسلامي هو المصلحة ، وتختلف المصالح باختلاف الظروق وتقدم المصالح حسب أهميتها ويجرى التوفيق بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة في حال التعارض ، وتقدم المصلحة العامة على مصلحة الفرد في حالة عدم إمكان التوفيق .

ثالثاً : الجمع بين المصالح المادية والحاجات الروحية والإحساس الدائم برقابة الله تبارك وتعالى لكل تصرف .

رابعاً : ارتباط ما هو مادي وما هو روحي في الإسلام .

خامساً : ازدواج الرقابة : الرقابة العلنية والوازع الديني الداخلي .

سادساً : المصالح المادية مقصودة ولكن ليس لذاتها .

سابعاً : الحرية الاقتصادية موجودة ولكنها مقيدة .

حيث يقر الإسلام حرية الأفراد في ممارسة نشاطهم الاقتصادي ولكنه لا يترك هذه الحرية مطلقة بل يقيدها بقيدين أساسين :

أولهما : أن يكون النشاط الإسلامي مشروعاً - حسب المفهوم الإسلامي - ومن أجل هذا حرم الإسلام إنتاج الخمور ، أو التعامل بالربا أو الاحتكار أو كنز المال وحبسه عن التداول والإنتاج أو حتى صرفه في غير مقتضى العقل وإلا عد المرء سفيها وجاز الحجز عليه .

ثانياً : أن يكون النشاط متفق مع المصلحة العامة وهذا هو السبب في تحريم الإسلام بعض أوجه النشاط الاقتصادي المشروع متى كان يلحق ضرراً بالآخرين يفوق ما يعود على أصحاب هذا النشاط من منفعة وهذا هو السبب في القيود التي وضعها الإسلام على الملكية الخاصة فجعلها مجرد (وظيفة اجتماعية) .

فالحرية الاقتصادية موجودة ولكنها مقيدة في حدود معينة وحق الملكية الخاصة مقيد بمبلغ اتخاذه سبيلاً إلى الإضرار بالغير أو عدم تنمية المال بالوسائل المشروعة .

ثامناً : المال مال الله وحده والإنسان مستخلف فيه .

في الإسلام : المال مال الله وحده والإنسان مستخلف فيه ،

استخلفه الله تبارك وتعالى للانتفاع بهذا المال الذي يوجه في سبيل الله - أي في سبيل مصلحة المجتمع - والمال تطهره الصدقة والزكاة ركن من أركان الإسلام وهى نظام للتعاون .

ويرمي الإسلام إلى تداول المال بين الناس دون تداوله بين طائفة خاصة ، وقد قيد الشرع حق التصرف بالإنفاق بمنع السرف والتقتير ، ومع العمل على تنمية الثروة بمنع الغش والربا والقمار والاحتكار .

وللمرأة أن تزاول التجارة والصناعة وأن تتولى العقود والمعاملات وأن تمتلك كل أنواع الملك وأن تنمي أموالها .

تاسعاً : وضع الإسلام نظاماً حكيماً يحول دون تضخم الثروات بين يدي أقلية ويكفل لكل فرد حياة إنسانية كريمة تحفظ له مقوماته وحقوقه .

وتقضي هذه الأحكام بإقرار التوازن في الحقوق بين الأفراد وذلك بمنع التقشف في استكمال الحق الخاص ومنع الاحتكار في التجارة .

ومبدأ الزكاة يهدف إلى إنفاق المال المختزن في أربعين سنة وبذلك تنتقل الثروة كل أربعين سنة من أيدي الناس إلى أيدي آخرين (حسن البنا) .

٥ - نظرة الإسلام إلى المال :

يقول دكتور فوزي عطوي : إن النظرة الإسلامية إلى المال واضحة لا لبس فيها ، فالمال مال الله وعلى هذا فإن المالك الأصلي والحقيقي هو الله (تبارك وتعالى) وانتقال المال من يد إلى يد جائز حسب النظام الإسلامي وهى يد استخلاف ذلك أن الله - تبارك وتعالى - إنما استخلف الإنسان في المال لكي يقوم به شئونه وشئون أفراد المجتمع ومن هنا جاء

قوله تعالى .

﴿ وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ﴾

وبالرغم من أن الحائز حيازه الاستخلاف يتصرف فى المال كتصرف أي مالك حقيقي إلا أن الأصل يبقى صحيحاً ، وأن الله (تبارك وتعالى) هو مالك السموات والأرض وما بينهما .

والحائز المستخلف في المال يكون في وضعية الوكيل الذي تستمر وكالته ما لم تتجاوز حدودها ، والحدود المرسومة في الإسلام للاستخلاف في المال تحكم استعمال المال في سبيل الخير لا في سبيل الشر والانتفاع به في الحدود التي حددتها المصارف لصالح العباد .

﴿ قل ما أنفقتم من خير فهو لكم ﴾

﴿ كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً .. الآية ﴾ وهذا توجيه في الحصول على المال عن طريق الخير وإنفاقه في طريق الخير .

والمال وفق نظرة الإسلام وسيلة لا غاية وهو لا يزيد من سلطة حائزه ، يزيد من مسئولياته تجاه المجتمع بحكم روح التواصل والتراحم التي أشار إليها الإسلام على المستوى الفردي والمستوى الإجتماعي .

ومن هذا ضرورة استخدام الفائض عن حاجة صاحب المال (أي العفو) في خدمة الصالح الاجتماعي العام نظراً لأن للجماعة حقاً في مال كل فرد .

وهذا ما يفسر اشتراع الزكاة في الإسلام محاربة من الدين الحنيف لكل أسباب الفقر وأشكاله .

وكذلك إقرار سلطة الجماعة في التدخل إلى حد نزع الملكية الفردية مع التعويض العادل إذا كان تصرف حائز الملكية مضراً بالملكية العامة .

وكانت الزكاة في الإسلام محاربة من الدين الحنيف لكل أسباب الفقر وأشكاله .

لقد سلمت اليهودية بأن الفقر ظاهرة طبيعية وسنة كونية لا سبيل إلى القضاء عليها واكتفت ببعض المواعظ والنصائح ، واتبعت المسيحية أسلوب الواعظ واكتفت بالنصائح والوصايا مع التسليم بحقيقة الفقر الأزلية .

ولكن الإسلام كان غير ذلك فهو لم يقر الفقر - بمعنى امتلاك ما يكفي لسد حاجة الإنسان - لم يكتف الإسلام بموقف سلبي يهدف إلى رفض الفقر بل اتبع منهجاً إيجابياً .

وقد ارتبطت معالجة الفقر في الإسلام بنظرته إلى المال وإلى ملكيته (حيازة الاستخلاف) المشروطة بتحقيق الصالح العام .

والهدف النهائي الذي يرمي الإسلام إلى تحقيقه - على مسئولية ولي الأمر - هو غناء كل فرد في المجتمع الإسلامي أيا كان هذا الفرد .

وقد قرر الإسلام بصورة إلزامية حق المحتاجين في أموال الأنبياء بما يكفي حاجتهم وقرر اقتضاء هذا الأمر بإحدى وسيلتين :

١ - الأداء الإختياري من جانب المسلم .

٢ - الاقتضاء الإجباري كما في الزكاة .

وبذلك حقق الإسلام التكامل العام وحق الجماعة في موارد الدولة العامة .

* * *

٦ – سوء توزيع الثروة

إن المشكلة الاقتصادية في نظر الإسلام ليس سببها قلة الموارد الطبيعية مما قد يتعذر التغلب عليه ، وليست نابعة من عدم بلوغ التطور غايته مما قد يتبعه إقرار الظلم الاجتماعي عبر المراحل التاريخية السابقة ، وإنما تتجسد هذه المشكلة في ظلم الإنسان بسوء توزيع الثروة إلى جانب كفرانه للنعمة بإهماله استثمار الطبيعة وموقفه السلبي منها أو عدم استغلال جميع المصادر التي تفضل الله تبارك وتعالى بها عليه استغلالاً تاماً .

وقد عالج القرآن الكريم : (كفران النعمة) بما وضع للإنتاج والتداول من أحكام ، كما كفل محو الظلم بما وضعه للتوزيع والاستهلاك من تقاليد ونظم ، ويشدد الإسلام على وجوب العمل والسعي على الرزق خدمة للمجتمع ويعتبرها أفضل ضروب العبادة ؛ فالإسلام يعتبر العمل فرضاً واجباً على القادرين .

٧ – المضاربة

شرع الإسلام استثمار الأموال بالطرق التي تكفل تنمية المال دون استغلال حاجة الناس وعدم أكل أموال الناس بالباطل ومن هنا شرعت المضاربة والتي تعقد بين طرفين يدفع أحدهما مالاً إلى آخر ليتجر فيه على أن يكون الربح بينهما حسبما يتفقان عليه والفرق بينها وبين الفائدة التي تقدرها البنوك ، أن الفائدة تقدر على رأس المال سواء ربح المال أو خسر ، أما المضاربة فإنها تقدر على الربح لا على رأس المال كما أن صاحب المال يتحمل من الخسارة بقدر نصيبه من الربح وقد ثبتت المضاربة بالقرآن والسنة والإجماع .

﴿ وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله ﴾

ولقد ضارب رسول الله لخديجة بمالها .

أما المعاملات الربوية فهى تؤدي إلى استغلال الأغنياء لحاجة الفقراء ؛ فيزداد الغني غني والفقير فقراً وتتفاوت مستويات المعيشة تفاوتاً كبيراً من شأنه خلق مجتمع يسوده التحاسد والتباغض (شعبان محمد إسماعيل) .

٨ – مفهوم الإسلام في الاقتصاد

يحدد دكتور عبد السلام العبادي هذه الأصول العامة :

١ – التنمية الشاملة في المجتمع حيث يأخذ الاقتصاد الإسلامي على عاتقه تحقيق عدالة التوزيع فيه بين أفراده .

٢ – العمل على ترسيخ التوازن الاقتصادي .

٣ – حث القرآن على عدم استنزاف موارد الأمة وتبديدها وطالب باستخدامها في خدمة المجتمع .

٤ – دعا الإسلام إلى توظيف جميع الطاقات لخدمة أهداف الأمة وتحقيق مسئوليتها نحو المواطنين .

٥ – يتطلب تحقيق التنمية الاقتصادية في المجتمع المسلم وضع مجموعة من القواعد الأساسية التي تضبط التنمية ، كتحريم الربا والاحتكار والتركيز على الربح الحلال وقد وضع قواعد النشاط الزراعي والتجاري والصناعي وضبط كل ما يتعلق بالتعاقد والتصرف في المجتمع .

٦ – إحكام الرقابة والإشراف على النشاط الاقتصادي للأفراد

وتوجيهه بما يحقق مصالح الأمة ويبعد الضرر عن الأفراد والجماعة .

٧ - إيجاد الانسجام التام بين ما يعتقده المسلمون وما يطبق عليهم من تشريعات وما يأخذون به من ممارسات وكشف كل قصور أو انحراف .

٩ - ضوابط الأموال

أقر الإسلام الضوابط التي تحمي المجتمعات من ظهور طبقة مستغلة مسيطرة .

أولاً : أن لا تترك الأموال لدى قلة من الأفراد إلى الحد الذي يتخذون منها أداة للتسلط الاقتصادي والاجتماعي والبغي في الأرض (كي لا تكون دولة بين الأغنياء منكم) .

ثانياً : أن لا تترك الأموال تتجمع لدى بعض الأفراد الأغنياء إلى الحد الذي يدفع بهم إلى الانغماس في الترف ومظاهر التميز ، الأمر الذي سرعان ما يؤدي إلى تحلل المجتمع وانتشار الفساد ولا يلبث أن يعمل على انهياره تماماً كما حدث لمجتمعات انغمست في الترف وما فوق الكماليات .

﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً ﴾ .

ثالثاً : إذا تجمعت الأموال لدى بعض الأفراد - ولا توجد لديهم نزعات البطر أو الانغماس في الترف والتحلل - فإن تجميع الأموال لمجرد الجمع (أي الاكتناز) أمر يتنافى مع مصلحة الجماعة لأنه يحبس الأموال عن دورة النشاط الاقتصادي شأنه شأن من يحبس ماء النهر عن أرض الغير ولذلك حرم الإسلام الاكتناز .

﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها .. الآية ﴾ .

رابعاً : أن لا يكون تجميع الأموال لدى بعض الأفراد عن طريق إنقاص حقوق الآخرين أو بخس أجورهم أو فرض أسعار احتكارية باهظة عليهم ﴿ ولا تبخسوا الناس أشيائهم ﴾ .

ودعا إلى الإنفاق مضاعفة لحجم المعاملات وتحبيذاً للرواج (وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه) عبد المغني سعيد .

* * *

١٠ - الاقتصاد الإسلامي والربا

﴿ وأحل الله البيع وحرم الربا ﴾

يقوم الاقتصاد الرأسمالي والاقتصاد الاشتراكي على قاعدة الربا ولكن الاقتصاد الإسلامي يقوم على إلغاء الربا .

ولطالما قدم المتعاملون بالربا من الحجج ما يبررون به الربا ويحاولون إقناع العالم بأنه لا سبيل إلى إقامة اقتصاد عالمي إلا من خلال الربا .

ولكن كل هذه الحجج سقطت ورفضت ، فقد تأكد أن النظام الاقتصادي لا يكون سليماً تماماً إلا إذا تخلص من الربا تماماً وهو ما أكده كبير الاقتصاديين العالميين (كينز) عندما قال : إن المال لا يؤدي وظيفته إلا إذا انخفضت الفائدة إلى الصفر وأن عقد الربا باطل لأن القانون يشترط حماية مصلحة الطرفين والربا لا يحمي إلا مصلحة الدائن فقط ، وقد كان الرأى السائد إلى وقت قريب نتيجة دعاية الربويين العالميين أنه من المستحيل إنشاء مؤسسات مالية عالمية تتعامل وفق النظام الاقتصادي الإسلامي ، ولكن المؤمنين بالله تبارك وتعالى أسسوا

بنوكاً إسلامية كثيرة تزيد على عشرة بنوك كبرى ناجحة وعددها يزداد عاماً بعد عام حتى أن بعض البنوك العالمية الأجنبية الربوية خصصت جزءاً من رؤوس أموالها للتعامل وفق النظام الإسلامي .

وقد اقتنع الاقتصاديون الغربيون بأن الاستثمار الأمثل والأضمن هو الذي يتم بعيداً عن دائرة (الربا - الفائدة) وأن المستثمرين السعداء هم فقط الذين يملكون حفنة من المشروعات التي لا تتأثر كثيراً بمعدلات الفائدة ويأتي هذا إثر الاضطراب الذي يشهده سوق الأوراق المالية بسبب قوة الدولار أمام العملات العالمية الأخرى مما يغري برفع سعر الفائدة في الولايات المتحدة .

والحق أنه قد توقفت تماماً اليوم محاولة إغراء المسلمين بمنهج غير منهجهم فالربا في الإسلام محرم تحريماً قاطعاً صريحاً ﴿ وأحل الله البيع وحرم الربا ﴾ وأمر المؤمنين أصبح أمراً واضحاً بترك البقية الباقية من المعاملات الربوية والتوبة إلى الله وهذا شرط الإسلام ليكون المؤمن مؤمناً بالله تبارك وتعالى .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين ﴾ ، ﴿ يمحق الله الربا ويربي الصدقات ﴾

ولعل هذا هو سر إفلاس كثير من البنوك في دول الغرب والشرق ومن أسباب الأزمات الاقتصادية المتعاقبة والتي لم يستطع علماء الاقتصاد مع كثرتهم وعلو درجاتهم العلمية إيجاد علاج حاسم لها لمصلحة شعوبهم .

وهناك عدة وسائط لتجاوز خطيئة الربا والتعامل بالأسلوب الشرعي وهي :

١ - مبدأ المشاركة وهو نفس إشراك صاحب المال المشروع جنباً إلى جنب مع المشاركين فيه .

٢ - مبدأ المضاربة : ويعني أن صاحب المال يسلم المال إلى جهة معينة كأحد المصارف ونحوها ويعطيها حق استثمار المال في المجالات المباحة شرعاً .

٣ - مبدأ المرابحة : ونقصد به قيام صاحب المال بشراء السلعة المطلوبة وحيازتها ثم بيعها بسعر أعلى للجهة الطالبة على أقساط متفق عليها .

٤ - مبدأ الإجارة : ويقصد بها قيام صاحب المال بشراء السلعة مثل العمارة أو الطائرة أو السفينة ثم تأجيرها لمن يطلبها بسعر متفق عليه وشروط محدودة يتم إقرارها سلفاً .

٥ - مبدأ الإجارة والاقتناء ويقصد بها قيام الممول بتهيئة السلعة أولاً ثم تسليمها إلى المشتري بأقساط دورية وحسب شروط معينة بحيث تصبح السلعة عند نهاية المدة المقررة ملكاً للمستأجر .

* * *

أما الذين يرون أن التخلص من الفائدة على النقود أمر بالغ الصعوبة فهؤلاء يرمون في نواياهم الحقيقية إلى تعطيل الشريعة بدعوى المحافظة على الاستقرار والمعاملات الاقتصادية في الخارج ، وهي دعوى يطرحها أعداء الإسلام من العلمانيين ومن المشايعين للجبهة الاستعمارية وحلفائهم من اليهود بما يحول دون أن تطبق الشريعة الإسلامية بفلسفتها كاملة وبنائها القانوني الشامل .

أما عن الربا المحرم فإن الاقتصاديين المحدثين ولا سيما لورد « كينز » ومن تلاه من الإقتصاديين الأوربيين يستنكرون التعامل بالفائدة ويعتبرونها والاكتناز من أهم الأسباب التي تؤدي إلى الأزمات الاقتصادية .

فليست فكرة الفائدة شيئاً مسلماً به ولا ضرورة حتمية إلا من وجهة نظر اليهود والاستعماريين كوسيلة لابتزاز الآخرين (دكتور نعمان جمعة) بتصرف .

* * *

ولقد وقف الإسلام وقفة حاسمة من الربا أما فيما عداه من الأحكام المتعلقة بالمعاملات (من بيع وشراء ومشاركة) فهو يعتمد على الاجتهاد الفقهي المستمد من القرآن والسنة .

ومادامت الأحكام العامة قائمة فإن الإسلام قادر على توفير البديل لكل أنظمة المعاملات الحديثة وفي الوقت نفسه يقبل كل الطرق والمعاملات التي لا تتعارض مع الشريعة وفي الإسلام كل الحلول لشتى المشاكل القانونية والاقتصادية والاجتماعية وعلماء المسلمين قادرون على تقنين البدائل الإسلامية في المعاملات التجارية وفي مجال الربا فإن البديل الإسلامي موجود وهو نظام المضاربة والمشاركة .

* * *

وقد طالب كثير من علماء المسلمين بوضع منهج إسلامي للقيم الاجتماعية والاقتصادية حيث أن المنهج الموجود في جميع بلدان العالم الإسلامي اليوم هو المنهج الغربي الذي يسعى لزيادة الإنتاج بصرف

النظر عن العوامل الأخرى مع أن الإسلام بوصفه دينا (ونظام مجتمع ومنهج حياة) فإنه يضع التنمية في إطار أخلاقي وينظر إليها نظرة شاملة من حيث نماء المعرفة الإنسانية والتوازن الخلقي .

* * *

وإذا كان الإسلام يوجهنا إلى التحرر من سلطان الربا فإن المفكرين غير المسلمين في مختلف أنحاء العالم يشكون اليوم من الربا ويعتبرونه سوس الاقتصاد الحديث المتهرئ .

وقد استنزفت لعبة الفائدة أرصدة العالم الإسلامي وحرمتها من الاستثمار المنتج في الزراعة والصناعة وتحولت إلى أرصدة أصحاب رؤوس الأموال ، بما يُبقى هذه الدول مجرد أسواق مستهلكة بدون إنتاج أو أمل في اكتفاء ذاتي فضلاً عن التصدير .

وللدول الإسلامية مع سعر الفائدة قصة تشبه المأساه فإن معظم أموالها تعود لتصب في البنوك الأمريكية حتى ما يودع من هذه الأموال لدى البنوك المحلية تحولها هذه البنوك بدورها إلى البنوك العالمية لارتفاع سعر الفائدة فيها وبذلك تغمر أموال المسلمين عجلة الاقتصاد الغربي وتسوق منتجاتها في دياره وتحقق المزيد من السبق التكنولوجي على حسابه .

ويوجد فى العالم الإسلامي فرص استثمارات حقيقية عائدها أضعاف عائد الفائدة الربوية التي تدفقها البنوك الأجنبية ولكن قيود المعونات والتعامل مع البنك الدولي لا تمكن المسلمين من التصرف في أموالهم على الوجه الذي يرونه صالحاً لهم .

والمواد الخام تشترى في العالم الإسلامي بأبخس الأثمان غالباً ما تشتري بنفس الأموال الإسلامية المودعة لدى البنوك الأجنبية ثم تصنع بنفس الأموال ثم يعاد تصديرها مصنعة إلى الدول الإسلامية لتباع فيها بعشرات أضعاف سعرها .

وطالما استمر هذا فمن المؤكد أن اقتصاد الدول الإسلامية لن يكون قادراً على الاستيعاب لأنه آنئذ يكون مجرد اقتصاد مستهلك وليس اقتصاداً منتجاً .

والاقتصاد المستهلك لا يستوعب الأموال ولا يستثمرها إنما هو يتلفها أو يتركها عند الآخرين ليقبض عنها فائدة نظنها كبيرة وهى في واقع الأمر لا شئ .

ولما كان نظام الفائدة من أساسه غير إسلامي حيث أن الإسلام يحرم الربا فإن اقتصاد العالم اليوم يواجه هزة عنيفة ويعتبر إلغاؤه إحدى عوامل هدمه وبهذا لن يكون للمسلمين دور في اقتصاد العالم ما لم يكن لهم شخصية واضحة نابعة من تعاليم الإسلام الذي يحرم الربا ويحض على القوة والعمل .

واستبدال الفائدة بالنظام الإسلامي في المضاربة يحقق لرؤوس الأموال أن تعمل - داخل البلد غالباً - وأن تنتج وتربح أكثر ، فالعالم الإسلامي لا يزال في حاجة إلى آلاف المشاريع الإنتاجية في الزراعة والصناعة بما فيها صناعة الأسلحة .

فإذا لم يستطع المال الإسلامي مواجهة مسئولياته داخل أوطانه وبالقنوات التي يوجهها إليه دينه الإسلامي فإنه سيظل تابعاً للغرب في

الاقتصاد ويدور في محوره ولا ريب متى تكونت لدى العالم الإسلامي إرادة واضحة للتخلص من هذا التحدي فإن اختيار النظام الإسلامي والتحرر من التبعية للرأسمالية أو الاشتراكية سيكون عاملاً هاماً في قيام اقتصاد إسلامي يوفر لقمة العيش التي هى حق لكل فم وإقامة حكم الله في المال ، وتحقيق مصالح العباد المشروعة من ضرورات وحاجيات وكماليات في حدود الأمور الخمسة (الدين والنفس والنسل والعقل والمال) .

* * *

ولاريب أن التجربة الربوية التي مر بها العالم الإسلامي جديره بأن تدفعه إلى الحذر فقد كان هذا النظام وبالاً على مقدرات المسلمين وثروتهم مما أوقع العالم الإسلامي في نفس الأخطاء والمساوئ التي عرفها الاقتصاد الغربي وبذلك فقد المسلمون المثل العليا الأخلاقية التي أقامها الإسلام للتكامل وغرقوا في الربا والديون وصدق ما قاله رسول الله ﷺ حين قال (فإني أخاف عليكم الربا) فقد ذهبت ثروة المسلمين حين اختلط حلالهم بحرامهم .

وكان ذلك واحداً من أبرز أخطاء التبعية الغربية في ميدان القانون والسياسة والتربية حين خضع المسلمون للمذاهب الأجنبية التي فرضها القرض الإستعماري وتلاشت ذاتهم في ذلك الاحتواء الغربي ، حتى تنبهوا له وعارضوه وقاوموه في السنوات الأخيرة بالبحث عن أسلوب اقتصادي أصيل بعيداً عن الربا للتخلص من التبعية الغربية .

١١ - الزكاة

﴿ وما أتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله وما أتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون ﴾ .

وهكذا جاءت الزكاة في مقابل الربا ، إلزام فرضه الإسلام على الغني للفقير ، ونظاماً ينقذ المجتمع من الأزمات التي تمر به .

والزكاة نظام دولة وليست إرادة فرد يأخذ من الأغنياء ويعطي الفقراء .

وقد جعل الإسلام الزكاة مهمة الدولة . والله تبارك وتعالى خاطب في جمعها ولي الأمر ﴿ خذ من أموالهم صدقه تطهرهم بها وتزكيهم ﴾ .

وإن الله تبارك وتعالى وعد بالثواب عليها وأنذر بالعقاب لمن يتخلف عن أدائها .

وقال أبو بكر الصديق : لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة . وقال رسول الله ﷺ (في المال حقوق أخرى غير الزكاة) وهى صدقات التطوع .

والزكاة حق الله تبارك وتعالى أي حق المجتمع .

* * *

ولاريب أن مجتمعنا اليوم في حاجة إلى تطبيق نظام الزكاة وهو أفضل من النظام الغربي الوضعي (الضرائب) ويمكن أن تكون الزكاة وعاء للقرض الحسن بما يخلص الناس من نظام الربا .

وعندما يطبق نظام الزكاة يقوم بيت مال المسلمين حيث تجمع الزكاة وتعطي للمحتاجين والفقراء لكي يحصلوا على حاجياتهم الأساسية .

١٢ - التنمية الإسلامية

يقول الدكتور عبد الحميد الغزالي : تعتبر القيم في الاقتصاد

الإسلامي داخلة في آلية النظام بل وتعتبر القيم هي المحرك الأساسي لحركة النظام الاقتصادي الإسلامي لأنه اقتصاد ديني أو دين اقتصادي فالإقتصاد جزء من كل مترابط يتفاعل ويتكامل في تناسق وتوازن مع بقية الأجزاء المكونة للإسلام .

أولاً : فعلم الاقتصاد الإسلامي هو علم البحث عن الأرزاق المقدرة وفقاً للضوابط الشرعية فهو يقوم على ركيزة أخلاقية واضحة تهدف إلى الاهتمام أكثر بالإنسان .

ثانياً : الاقتصاد الإسلامي يتعامل مع التراث الإنساني بفكر مفتوح تماماً فلسنا في حاجة إلى أسلمه الكثير من المبادئ والسلوكيات التي قد ينهل منها الاقتصاد الإسلامي على أساس أن الأصل في الأشياء الإباحة ، ومادامت الحكمة لا تصطدم بنص إسلامي صريح .

وحيثما وجدت المصلحة فثم شرع الله ، فالإسلام يحث المجتمع المسلم على الأخذ بأحدث ما ابتكره العقل البشري من تنظيمات وطرائق من أساليب تكنولوجية وصيغ إدارية للتكامل الكفء والتفاعل مع الأشياء بهدف إعمار الأرض وتقدم المجتمع ولن يكون الإسلام سبباً في تخلف الدولة الإسلامية .

وترجع أسباب التخلف إلى كونهم أخذوا من الإسلام اسمه وأصبحوا دولاً بلا هوية راحت تتخبط بين الأنظمة الوضعية .

فعندما أخذت الدول الإسلامية بالنظام الرأسمالي كانت مستهلكة سلع وحضارة وعندما جربت النظام الاشتراكي كانت مستهلكة ألفاظ وشعارات .

وذلك أدى إلى التخلف والتبعية لأن كلا النظامين يصطدم بالقيم والمبادئ التي يعتنقها المسلمون ؛ ومن ثم كانت الازدواجية والخلل في المعتقدات والسلوك .

وترجع أسباب التخلف إلى هذه العناصر :

١ – محدوديه الموارد الإنتاجية من حيث الكم والكيف .

٢ – الاستخدام الردئ للموارد الإنتاجية المتاحة .

٣ – الخصائص السلبية للبيئة المحيطة بالعملية الإنتاجية .

٤ – الآثار السلبية لظاهرة ازدواجية الاقتصاد القومي .

٥ – الآثار السلبية للعلاقات الاقتصادية الدولية .

٦ – آثار المتغيرات المتحكمة في سلوك الظاهرة الاقتصادية عندما لا ترتبط بمضمونها .

* * *

ويقرر الباحثون في الاقتصاد الإسلامي أن من أهم أساسيات المنهج الإسلامي للتنمية والاستخلاف :

أن قيام التنمية الشاملة والمتوازنة في إعمار الأرض على أساس أن الموارد هى مال الله الذي نحن مستخلفون فيه ولابد أن يسخر هذا المال لخدمة الخلق المستخلفين لكي ينتفعوا به ويعملوا به ويؤدوا الزكاة من أرباح هذا المال ، والزكاة هى أداه التوزيع العادلة التي تعمل لصالح الطبقات الفقيرة .

٢ - إن استخدام المال وتثميره يتم عن طريق الاعتماد الجماعي على الذات في إطار نظام أولويات شديدة الوضوح متدرجة : (١) الضروريات (٢) الحاجيات (٣) ثم التحسينات ، مع إعطاء فسحة للأشياء الروحية .

٣ - إن عملية التنمية تتم من خلال مشاركات إنمائية صغيرة وليست مشروعات تتكلف الملايين ، ولكن تتم المشروعات وفقاً لاحتياجات أفراد المجتمع .

٤ - العمل على استثمار الأموال من خلال صيغ التعامل (المعاوضات المالية - البيع - الإجارة - التصنيع - المشاركات ، المضاربة ، المزارعة) .

تقوم كل هذه العمليات على أساس الربح والخسارة فالمال هنا لا يكون غانماً إلا إذا كان غارماً .

٥ - لما كان الإسلام يحارب الفقر عملياً فقد جعل العمل جزءاً أصيلاً من العبادة والتكامل الاجتماعي أصلاً من أصوله الثابتة تحقيقاً لتمام الكفاية إلى حد الغني فالتنمية الاقتصادية فريضة دينية دائمة ومستمرة حتى قيام الساعة .

٦ - إن المناهج الوضعية تجاهلت ضرورة توافر المناخ المناسب من الحرية والعدالة على مستوى الفرد (الإنسان) الذي سيقع عليه عبء القيام بالجهد الإنمائي المطلوب .

٧ - المنهج الإسلامي للتنمية على عكس المناهج الوضعية يقوم بالتنمية بالإنسان وينتهي بالإنسان ، ولأجل الإنسان وبذلك تتصف بالاستمرارية المرتبطة بالعبادة .

* * *

وتقوم النظرية العامة للتنمية في الإسلام :

أولاً : فكرة إعمار الأرض أو ما نسميه بفكرة الاستغلال والاستخلاف ، وفي القرآن الكريم نجد آيات عديدة تؤكد فكرة إعمار الأرض وأننا مكلفون من قبل الله تعالى بأن نعمر الأرض .

ثانياً : فكرة المال مال الله

وهى فكرة واقعية ، فعلاقة الإنسان بالمال تنتهي عند موته ، وهى ليست فكرة ميتافيزيقية ولا فلسفية وإنما هى تعبير عن واقع حي نعيشه كل يوم .

ثالثاً : البعد التطبيقي

١ – تحريم الربا – الزكاة – قيمة العمل في الإسلام .

فالربا محرم في جميع الديانات من قبل الإسلام .

٢ – العمل في الإسلام هو القيمة الحقيقة التي يمكن أن تحظى باعتبار وتقدير المجتمع المسلم .

* * *

حماية المال العام والخاص في الإسلام .

يقول أعداء الإسلام : إن تطبيق حد السرقة كقطع يد السارق يحول الناس إلى ذوي عاهات وهذا يقتل الإنتاج ، والإسلام لم يقل أن الذي يسرق رغيفاً يحتاجه تقطع يده وهناك شروط كثيرة لابد أن تتحقق قبل تطبيق الحد في عالمنا المعاصر الذي يسرق فيه السارق ليثرى ، وقد أصبح الغني هو السارق ، ففى إحدى الأسواق الحرة وفي إحدى بلدان

العالم الإسلامي تبين أن المسروقات ٢ مليون . هل الذين سرقوا ما يساوي ٢ مليون لا يستحقون قطع أيديهم ؟

* * *

١٣ – التخلف والتنمية

يقول الدكتور أحمد النجار : لقد انحصر مفهوم التخلف للأسف الشديد في ذهن أكثر الناس في النظام المادي نظراً لصعوبة الناحية المادية المتمثلة في نقص السلع الاستهلاكية والخدمات ، ولقد تقدمت دول كثيرة بينما تخلف المسلمون تخلفاً شديداً في الأخذ بالأسباب التي تمكنهم من اللحاق بهذه الدول وأصبحت كل أو معظم الدول الإسلامية تتطلع إلى النماذج التي حققت في فترة زمنية محدودة نتائج ملموسة انعكست على حياتها .

ولذلك ربط كثير من المفكرين أسباب التقدم في أوربا بانفصال الكنيسة عن الحياة المدنية بالاتجاه إلى الحياة العملية .

وعلى العكس من ذلك تماماً كان أمر المسلمين فحينما تمسكوا بدينهم وصلوا إلى كل أسباب القوة والعزة .

وعندما نستعرض تاريخ التنمية في العالم فإن معظم الكتابات تهمل (النموذج الإسلامي) – عمداً أو غفلة – مع أنه من اللافت للنظر أنه خلال خمسين سنة من نزول الوحي تحول العرب من مجتمع جاهلي بسمات معينة دون أي تقدم إلى مركز إشعاع علمي حضاري يعم كل العالم .

ويمكن القول أن التخلف يعود في أسبابه كلها إلى مشكلة سلوكية ،

ومن أجل أن نعرف أسباب التخلف وعوامله يجب أن نأخذ في الاعتبار طبيعة مشاكلنا التي نعاني منها حالياً . إننا نشكو من المغالاة وانتشار الرشوة والكسل وعدم الإخلاص في العمل وعدم الأمانة ، كل هذا وأسبابه أن المسلمين أصبحوا في حالة الركود ، وهذه الحالة ترجع إلى ثلاثة عوامل :

١ - ضعف العقيدة : تفريغ عبارة (لا إله إلا الله) من محتواها فإنها تغير السلوك والنظرة إلى الحياة والعادات .

٢ - فقدان القدوة وأقصد عدم فهمها فهماً حقيقياً من سيرة الرسول ﷺ وموقف الرسول من متطلبات العصر ومواجهة الأمور .

٣ - عدم وضوح الأوليات مما جعلنا نركز على الشكليات وأن هناك ارتباط شديد بين ضعف العقيدة وبين التخلف ، وهذا بدوره يؤدي إلى الانفصال عن الواقع العملي .

فقد انفصلنا عن القدوة التي تجسد العقيدة تجسيداً عملياً وغرقنا في شكليات ومظاهر وأمور جدلية .

والسنة في نظري هى اتجاه الرسول فيما يتميز به من إيمان وعقيدة راسخة ومكارم الأخلاق .

فالتنمية هى تعبئة الطاقات المادية والبشرية ، والدين هو العنصر الوسيط الذي يتم التفاعل به مع العناصر المختلفة .

إن مشكلة التنمية هى تعبئة تربوية لها أهداف وعادات محدودة فإذا وجدت المؤسسة المالية أو الإسلامية التي تستخدم الطاقات المادية

والبشرية وتفجرها معتمدة على النفس للوفاء بمتطلبات الحياة وتحقيق الذات .

٢ – ويقول الدكتور عبد الحميد الغزالي :

في دراسة التنمية نسقط الضوء على كتاب التنمية ومعظمهم من اليهود أمثال [هرسمان ولنيدحر وانشاين وآخرين] .

إن معظمهم يحاول أن يستخدم المنهج العلمي في غير مكانه ويقول:

إن البلاد الإسلامية تقع في مجموعة البلاد المتخلفة جزئياً ، فهم يرون أننا متخلفون لأننا مسلمون ، متخلفون ليس لأن الإسلام سبب التخلف ولكن لأننا لا نملك حريتنا الأصيلة وهويتنا الأصيلة ، هي الهوية الإسلامية والقول بأن الإسلام سبب التخلف هو جهل واضح بدين هو التقدم نفسه والتوجه الإنمائي فيه أصيل ولا يجب أن نقول أننا يمكن أن تستخدم الدين كقوة لإحداث التقدم ، إنما مجرد إقامة شرع الله يفرض على ظهر هذه الأرض تحقق إعمار الأرض ، أي تنمية جادة ومتوازنة ومستمرة حتى قيام الساعة .

نحن متخلفون لأننا تخلفنا عن الإسلام والمخرج الوحيد علمياً بمنطق العلم هو أن نعود إلى إسلامنا : منهج حياة كامل وشامل وضعه الخالق جل وعلا الذي يعلم قدرات البشر لصالح الحياة .

ونحن كاقتصاديين نعرف التخلف الاقتصادي والاجتماعي بأنه حالة الانخفاض النسبي في مستوى النشاط الاقتصادي وما يمكن أن يصل إليه المجتمع الإسلامي لو استغل كل ما لديه من إمكانيات إنتاجية استغلالاً كاملاً ، لو استغل المجتمع كل ما لديه من إمكانيات متاحة ، هذا

هو التعريف المعتبر في الاقتصاد الوضعي الذي يركز عليه الجانب الإسلامي .

وأسباب التخلف في المجتمعات الإسلامية واضحة حيث توجد تبعية واضحة للبلاد المسماه بالتقدمية وبصفة واضحة في سلع استراتيجية خاصة كالسلع الغذائية .

ولا شك أن إحساس الفرد بأنه لا يشارك في القرار يجعله يركن إلى السلبية كذلك الانفصام الواضح بين القاعدة والفرد وبين القيادة .

إن النظام الإسلامي نظام تنموي في الأساس وُضع في حدود قدرات البشر ، وقابل للتطبيق ، وقد طبق أصلاً في حدود هذه القدرات وكان حرباً على الاستغلال والمستغلين .

أما الزكاة فإنها لو طبقت تطبيقاً أميناً لساهمت بفاعلية في تنمية المجتمع وأن ٣,٥ ٪ على مستوى مصر وحدها تحقق دخلاً أساسياً للتنمية ليس لتسديد الديون فقط ولكنه يمكننا في فترة قصيرة أن نعوض التخلف الاقتصادي الذي نعانيه .

إن المال مال الله ونحن مستخلفون فيه والاستخلاف يعني تسخير المال للبشر ويعني بالنسبة للبشر العمل على تنمية وأداء حقوقه في صورة الزكاة ومن هنا كان التكامل الحقيقي .

وقد جعل الإسلام العمل نوعاً من العبادة .

أما القول بأن الإسلام هو سر تخلف المجتمعات الإسلامية فهى دعوى مغالطة لأن الإسلام لم يحكم حياة هؤلاء ، لأنه لا صله بين المجتمعات الإسلامية وبين الإسلام اليوم إلا بالإسم ، ولأن التشريعات

والأخلاق والتربية والسلوك والأخلاق كلها مستوردة من الخارج .

والسؤال هو : هل المجتمعات الإسلامية الآن وخلال القرن الماضي تعيش الإسلام حتى نحكم عليها بأن الإسلام هو سبب تخلفها ؟ أم أنها بعيدة كل البعد عن الإسلام ؟

إن الإسلام يكفل للمجتمع الذي يسير على هداه تقدماً في الفكر والأخلاق والسلوك والاقتصاد والاجتماع .

١٤ - المصارف الإسلامية

قامت البنوك الإسلامية على دعائم أساسية متميزة فهى تلتزم العمل وفقاً للأحكام الأساسية للشريعة الإسلامية ، التى لا تتعامل بالفائدة أخذاً أو عطاء وإنما تكون معاملاتها في إطار الشريعة الإسلامية وخضوع هذه المعاملات لرقابة علماء الشرع لضمان طهارتها وضمان سلامة العائد وعمل هذه المصارف الإسلامية على تنمية المجتمعات التي تقوم فيها هذه المصارف اقتصادياً واجتماعياً فهى تستقطب صغار المودعين وشرائح من المدخرين والمدخرات التي لا تتعامل مع البنوك التقليدية .

ومن أهم أعمالها بعد التنمية : توزيع الزكاة المفروضة شرعاً على مستحقيها والعمل على تحويلهم إلى طاقات منتجة وقد كان نجاح التجربة دافعاً للبنوك التقليدية العامة بإقامة فروع لها تتعامل على أساس المعاملات الإسلامية ، ولم يقتصر دور البنك الإسلامي على النشاط التجاري لتوفير مستلزمات الإنتاج والسلع الضرورية للسوق المحلية بل تعداها إلى دور حيوي وهام يعمل على تأسيس عدد من الشركات المساهمة في المجالات الطبية والزراعية والتجارية .

* * *

ولقد جاءت النظريات الاقتصادية الكلاسيكية تضع أهدافاً لصالح المجتمع ، ولكن الإسلام جاء قبل هذه النظريات يضع المال موظفاً في خدمة المجتمع فقيره وغنيه .

فالنقطة الأولى هي المال والثانية هي الإنسان ودوره بالنسبة للمال والله تبارك وتعالى كرم الإنسان في أن يعمل ولا يتوقف عن العمل بقدرة الله وهديه .

وقد وجه أمر توظيف المال إلى صاحب الخبرة ، والبنوك الإسلامية تعمل كرب مال مرة ، وكمضارب مرة أخرى ويستطيع الجهاز المصرفي تحريك المال إلى آفاق الاستثمار والتوظيف المختلفة لصالح المجتمع الإسلامي نفسه .

من النقاط الهامة تقدير حق الله تبارك وتعالى في الأموال وهو حق الزكاة وتتميز التطبيقات الإسلامية في المعاملات المالية بناحية الرعاية والعناية بحق الله في الفقير والمسكين والمحتاج وهو ما نسميه (البعد الاجتماعي) لتطبيقات الشريعة وهو ما يميز المعاملات الإسلامية حتى لا تكون موضع حقد أو حسد من المحتاجين وبذلك تكون الزكاة أهم أعمدة المعاملات الإسلامية ، والزكاة ليست منحة بل هي وسيلة لتحويل هذا الفقير إلى عنصر صالح في المجتمع .

* * *

وتتميز البنوك الإسلامية عن البنوك غير الإسلامية ، باختلاف الوجهة حيث تضمن البنوك غير الإسلامية لصاحب المال ربحاً محدوداً منسوباً إلى رأس المال مرتبطاً بالزمن وهذا هو الربا بعينه .

أما البنوك الإسلامية فهى تقول : لك ما يرزق الله به من عائد ، أي أن رب المال والذي يقوم بالعمل في المال متفقان على حصة كل واحد منهما فيما يرزق الله تبارك وتعالى من ربح فإن كانت خسارة كانت على رأس المال لأنهما هنا شريكان أحدهما بماله والآخر بجهده إلا إذا قصر في الحفاظ على المال ، أو أساء الاستعمال فهو ملزم لأن المال في يد المضارب أمانة حين يعمل به يكون وكيلاً وحين يربح يكون شريكاً .

فملكية المال لله تبارك وتعالى والإنسان مستخلف فيه يستثمره ومن هنا لا يكون المال هو الطاعة والحاكم كما في الرأسمالية ولا يكون محجوزاً عن الأفراد كما في الشيوعية .

ولكن الإنسان هو الذي يقوم بالعمل في المال ، ملكيته لله ولكن الانتفاع (الملكية المجازية) هى للإنسان ، أعطى إليه من الله تبارك وتعالى ليقوم باستثماره خدمة للمجتمع وتنمية للمجتمع .

ولاريب أن تحريم الربا وعدم التعامل به له تأثير عظيم في التنمية الاقتصادية لماله من دور كبير في القضاء على ظاهرة التضخم التي يشكو منها العالم كله .

فالإسلام يقدم للعالم كله حلاً لأضخم مشكلة إقتصادية وهى التضخم : ذلك هو إلغاء سعر الفائدة وتقنين قانون الزكاة .

والنظام الإسلامي الذي يقوم على سعر فائدة يشجع على الاستثمار لأن الفائدة الربوية تساعد على الاكتناز ولا يثير في صاحب المال عنصر المخاطرة والاستثمار .

حاشية : قال إدوار هنب : إن المصارف الإسلامية يمكن أن تلعب

دوراً بارزاً في التعاون الاقتصادي بين أوربا والعالم الإسلامي والعالم الثالث بصفة عامة .

إن الوقت قد حان لتغيير النظام الأساسي الذي تعمل عليه المؤسسة المالية الدولية القائمة ليكون دورها متناسباً مع حجم المشاركة الحقيقية .

ويقول الدكتور أحمد النجار : إن النقود وسيلة وليست سلعة وينبغي أن تستعمل في إطار نظرية أخلاقية وأن ترتبط بإنتاج عمل أو سلعة . أما المصارف التي تقوم بعملية تأجير النقود من الباطن لمن يدفع ثمنها فيما بعد ، أو من له ضمان عقاري وليس من يعمل ، فهي مصدر التضخم .